الرسالة

مجلة أدبية تعبر عن العروبة والفكر العربي المعاصر

حسام طبال

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠ — ٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١٠٩٥ — الخميس ٥ رمضان سنة ١٣٨٤هـ — ٧ يناير سنة ١٩٦٥م — السنة الثانية والعشرون

مرحباً بربيع القلوب ..

بقلم: أحمد حسن الزيات

بعد أحد عشر شهرا من العام قضاها المسلمون فى جهاد العيش وصراع المادة فقاسوا فى صيفه سعار الشهوات ، وكابدوا فى خريفه خمود المشاعر ، وعانوا فى شتائه موت الضمائر ، يأتيهم ربيع الأرواح فى رمضان فيحيي موات قلوبهم بالبر ، ويوقظ رواقد نفوسهم بالذكر ، ويرجع بأرواحهم الى منبعها الأزلى فتبرأ من أوزار الحياة ، وتطهر من أوضار المادة ، وتتزود من مذخور الخير بما يقويها على احتمال المحن والفتن فى دنيا الآمال والآلام بقية العام كله .

لذلك كان رمضان في الشرع الالهى طهورا من رجس العام وهدنة فى حرب القوت وروحا فى مادية الكون .

وقد اختصه الله بهذه الميزة على سائر الشهور ليومين من أيامه كان لهما فى تاريخ العالم أرفع الشأن وفى مصير الانسان أبلغ الأثر : يومه السابع عشر من السنة الحادية والأربعين من مولد الرسول ، وهو يوم القرآن ، ويومه السابع عشر من السنة الثانية لهجرته وهو يوم الفرقان .

فأما يوم القرآن ففى ليلته المباركة تجلى الله لجبل النور كما تجلى من قبل لجبل الطور ، فأنزل الروح الأمين بالاشراقة الأولى من كتابه الكريم على قلب نبيه العظيم ، فاستعلنت منذ تلك الليلة معانى الحق ، واستبانت سبل السلام ، واستقامت موازين العدل ، وخرج الناس من ظلام حالك كانوا يعمهون فيه ، الى نور ساطع صاروا يهتدون به .

وأما يوم الفرقان فهو يوم التقى الجمعان : جمع المدينة وجمع مكة فى بدر .. وكان المسلمون على فقرهم وضرهم ثلث المشركين ، وكان المشركون على كثرتهم وعدتهم صفوة قريش ، وكان موقف الاسلام من الشرك يومئذ موقف محنة ، كان بين العدوتين الدنيا والقصوى فى بدر مفرق الطريق ، فاما أن يقود محمد زمام البشرية فى سبيل الله فتنجو ، واما أن يردها أبو جهل الى مجاهل التيه والضلال فتهلك ، لذلك كان النصر فى موقعة بدر حكما قاطعا من أحكام الله غير مجرى التاريخ ، وعدل وجهة الدنيا ، ومكن العرب فى دورهم أن يبلغوا رسالة الله ، ويؤدوا أمانة الحضارة ، ويصلوا ما انقطع من سلسلة العلم .

***

رمضان هو التمرين الرياضى السنوى للنفس ، يشترك فيه المسلمون فى جميع

اقطار الارض ، يصومون في وقت واحد ، ويفطرون في وقت واحد ، وينصرفون عن اللذات الحسية والنفسية ليتجهوا بالتامل والتعبد والخشوع الى الله ، فيغضوا أبصارهم عن المنكر ، ويكفوا ألسنتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو ، ويغلوا أيديهم عن الأذى ، ويصدوا أهواءهم عن السوء . وتلك هي العناصر الجوهرية لعقيدة الصوم . وهذه القيود والحدود التى تضمنها معنى الصوم هى المجاهدة التى تعود الانسان ضبط النفس وقوة الارادة .

وضعف الارادة انما يقوى برياضة النفس على الحرمان المؤلم ، كما يقوى الجسم برياضة البدن على الجهد العنيف ، وكما يقوى العقل برياضة الذهن على التفكير العميق . والرياضة الروحية هى حكمة الصيام فى الاديان كلها . « يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وتقوى الله ومجاهدة النفس هما الغاية من هذه الحكمة . وقد اجتمعتا فى قوله تعالى : « واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى » ، فالخوف من الله هو التقوى ، ونهى النفس عن الهوى هو المجاهدة .

على ان للجوع أثرا شديدا فى تصفية النفوس وتلطيف الطباع ، لأن كدر النفس انما يكون فى الأكثر من كدر الجسد . وقد قالوا ان البطنة تذهب الفطنة ، لذلك اتخذ كثير من أئمة الدين ورجال التصوف الجوع سبيلا الى تهذيب النفس وتقوية العقل وإذكاء الروح ، قال الامام على رضى الله عنه يصف العارف بالله : « قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله ورق غليظه » يريد بجليله بدنه الضخم وبغليظه طبعه الكثيف وقال يحيى بن معاذ : « الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزاهدين سياسة وللعارفين تكرمة » .

فرمضان اذن رياضة النفس بالتجرد ، وثقافة للروح بالتامل ، وتوثيق لما وهى بين القلب والدين ، وتقريب لما بعد بين الرفه والمسكين ، ونفحة من نفحات السماء تغمر دنيا المسلمين بعبير الخلد وأنفاس الملائكة .

ورمضان ثلاثون عيدا من أعياد القلب والروح ، تفيض أيامها بالسرور ، وتشرق لياليها بالنور ، وتفتر مجالسها بالأنس ، ويغمر الصائمين فيض من الشعور الدينى اللطيف يجعلهم بين صحوة القلب ونشوة الجسد فى حال استغراق فى الله يتأملون أكثر مما يعملون ، ويستمعون أكثر مما يتكلمون .

ورمضان بعد أولئك كله رباط اجتماعى وثيق يؤكد أسباب المودة بين أعضاء الأسرة بالتواصل والتعاطف وبين أفراد الامة بالتزاور والتآلف ، وبين اهل الملة بذلك الشعور السامى الذى يغمرهم فى جميع بقاع الارض بانهم يسيرون الى غاية الوجود قافلة واحدة ممتزجة الروح متحدة العقيدة متفقة الفكرة متشابهة النظام متماثلة المعيشة .

***

هذه تحية صادقة لشهر رمضان المبارك كتبها مؤمن وقرأها مؤمنون ، ولا يدرى الا الله ماذا تدخر مدنية المال ومادية العلم لهذه الروحية التى تتجلى فى الصوم ، ولهذه الفيرية التى تتمثل فى الصائم .

وقى الله رمضان شر العلم الجاهل والدين الكاذب والتقليد الأعمى والتمدن المشوه ، وجدد الله به على المسلمين الأعوام المقبلة وهم ناعمون فى ظلال الأمن ، متمتعون بنعمة الوحدة .

احمد حسن الزيات

.. وهذا هو تاريخها

بقلم : محمود محمد شاكر

- ٧ -

عندما شرعت اعد هذه الكلمة ، قضيت أياما أطوف بذاكرتي فيما قرأت ، وأراجع بعض ماقيدت، فأفنيت وقتا طويلا في حشد مادة الكتابة ، ثم وقع الى كتاب لم أكن سمعت به . فلما بدأت اقرؤه وجدتني قد أضعت أيامي هباء ، لأنه لو كان في يدي قبل ذلك ، لأغناني عن بحث طويل وتنقيب مضن . فلم أستحل لنفسي أن أعود الى قضية الأكاذيب الملفقة، حتى أنصف صاحبته ما استطعت. جاء هذا الكتاب كأنه تقريع لي ، ولكل من نصب نفسه لعلاج المسائل العامة في حياة الشعب العربي والاسلامي ، لأننا عشنا دهرا في موج متلاطم، ثم لم يكن لنا من الحكمة والعقل ، ما يدفعنا الى تقييد ما يجري في زماننا على ترتيب تاريخي متصل ، فيكون ذلك معوانا لنا على جلاء الصورة التي عشناها أو التي نعيشها ، في ضوء مبين عن حقيقتها ، وتلافيفها ، وتعاريجها ، وخفاياها . وهذه هي النكبة التي نكبنا بها ، وأنا أشهد على نفسي ، على الأقل ، أني قصرت في ذلك تقصيرا معيبا ، اذ شغلتني نفسي عن تتبع كثير من الحقائق وتقييدها، فلما جئت أطلبها ، وقعت في المأزق، حتى جاء كتاب « تاريخ الدعوة الى اللغة العامية وآثارها في مصر »، فأنقذني مما تورطت فيه . وهذا الكتاب النفيس ، من تأليف الدكتورة نفوسة زكريا سعيد ، المدرسة بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، (الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م) والجهد المبذول في جمع مادة هذا الكتاب ، جهد يدل على التجرد الصحيح السليم في طلب المعرفة ، وعلى الصدق في السعي الى الحقيقة ، وعلى النفاذ في ادراك الحقائق ، وعلى الصبر في معاناة التنقيب بلا كلال ولا ملل . ولا أظنني قرأت منذ سنوات طوال كتابا يتناول المسائل العامة في حياتنا الحديثة ، بذل فيه صاحبه من الوقت والجهد والأناة ، مابذلت الدكتورة نفوسة في كتابها هذا . ولا أظنني قرأت أيضا في هذا الدهر كتابا ، ينبغي لكل عربي وكل مسلم ان يقرأه من ألفه الى يائه، يضارع هذا الكتاب ، وحسبها أنها استطاعت أن تجلو للناس صورة صحيحة صادقة مؤيدة بالأسانيد ، بلا تزيد ولا كذب ولا ادعاء، عن أكبر معركة تدور في العالم العربي والاسلامي وهي معركة البناء او الهدم، معركة الحياة او الموت، معركة الحرية أو الاستعباد ، معركة وحدة العرب والمسلمين بلغة عربية واحدة هي الفصحى ، أو تفرق العرب والمسلمين أشتاتا بلغات متنابذة هي العامية. ولو كان لي من الأمر شيء ، لأمرت أن يطبع هذا الكتاب ليكون في يد كل شاب وشابة ، وكل رجل وامرأة ، ويكون له مختصر ميسر لكل من مكنه الله من القراءة . ولست أريد الاغراق في الثناء ، واخلاء الكتاب من كل عيب ، ولكني أراه كتابا صالحا لكل مثقف ، يجد فيه مادة صحيحة لتاريخ معركة قاسية خبيثة . اذا وقانا الله شرها باليقظة فقد نجونا من المحنة الساحقة ، واذا أسأنا فابتلينا بتمام الغفلة ، فذلك ذل الأبد ، ولا حول ولا قوة الا بالله وحده .

وهذا أوان العودة الى قضية هذا الداعية الجديد وأكاذيبه الملفقة.وقد كشفت النقاب عن وجه لويس

عوض ، فى مقالتى السابقة ، فعرضته كما هو فى حقيقته ، لا أديبا ، ولا متأدبا ، ولا مفكرا ، ولا دكتورا ذا طيلسان وجلاجل ، بل حاقدا على العربية وكتابها وأهلها ، يستخدمه قوم لأغراض بعيدة الاثر فى حياة الامة التى تتخذ العربية لغتها والقرآن كتابها ، بلا مواربة ولا استخفاء • ويريد الله أن يرسل الى دليلا جديدا على أنه لم يزل كما كان فى صدر حياته ، داعية للعامية ، ولا شيء غير ذلك ، ولا هم له الا ذلك • ففى العدد الاخير من مجلة الاذاعة (٢٩ شعبان سنة ١٣٨٤) بعنوان : « هل صحيح ••• الرواية والقصة القصيرة فى محنة » ، والذى أثار الموضوع هو قول توفيق الحكيم : (« لقد انصرف الكتاب عن الرواية والقصة القصيرة ، الى المسرح والتليفزيون والسينما » ، فهل يعنى هذا أن الرواية والقصة القصيرة تمران بمحنة) فأجاب نجيب محفوظ جواب عارف خبير ، وأجاب يوسف الشارونى جواب متتبع ، وكلاهما لم يتعرض لما تعرض له لويس عوض ، لان المسرح والتليفزيون والسينما ، أكثر مافيها الآن بالعامية المحضة ، وهذا بلاء مخوف العواقب ، فالمنصرف عن الرواية والقصة القصيرة اليها ، انما ينصرف الى محض العامية ، اما لويس عوض ، فبالذى يعتمل فى صدره من الحقد على العربية اجاب ، ولم يفهم السؤال الذى وجه اليه، بل تسرع وحاول أن يتفلسف بغير فلسفة ،كما تادب فى هامش الغفران بلا أدب • فزعم أن محنة الرواية التى تجمدت ، والقصة القصيرة التى ذبلت ، يعود الى جملة أسباب !! « أهمها ذلك القرار الذى اتخذه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب منذ سنوات بضرورة استعمال اللغة العربية فى حوار القصة ، وقصر الجوائز على القصص الخالية من الحوار العامى» ، ثم جاء بكلام كثير ملفف فى الغموض والتحكم ، تابع من عقيدته التى بنى عليها كيانه كله ، وهو الدعوة الى العامية ، وبغض اللغة العربية • ولا يعنينى هنا ان انقده ، ولكن يعنينى ان اكشف اللثام عن وجه غريب فى تاريخ الحياة الأدبية المعاصرة ، وانه حين عرف بنفسه فى سنة ١٩٥٤ فقال عن نفسه : «عرف بدعوته للأدب العامى فى صدر حياته الأدبية ، وللأدب فى سبيل الحياة فى طوره الحالى » ، لم يعن بهاتين المقولتين سوى شيء واحد ، هو انه لم يزل «داعية للعامية» ، لا غير ، وأنه لايعنيه الأدب ولا غير الادب ، لأنه ليس بأديب ولا شبه أديب ، وانما يعنيه أن تسود العامية على العربية لأنه داعية ، كما بينت فى المقالة السالفة • وبذلك يتبين أن المخرقة التى اتخذها باساءة الكتابة فى آداب العربية ، حين وظفته صحيفة الأهرام مستشارا ثقافيا بها ، انما كانت ستارا يحجب به نفسه ليدع آخرين يعبرون عما يريد ، ومن المسلمين خاصة ، كما قال فى كلامه الذى نقلته عن «بلوتولاند» • فمن أجل ذلك رأينا صحيفة الاهرام تكاد تتفرد من الصحف كلها بالاغراق فى السخرية من العربية ، بالكلمة ، وبالصورة ، وبكل مافيه تحقير للتراث العربى بلا رعاية أحيانا لبعض ما ينبغى أن يراعيه ذو عقل سليم ، أو ذوق صحيح•

وسأثبت بالبرهان القاطع ، أن موضع هذا الداعية الجديد فى الحياة الادبية المعاصرة ، موضع مريب جدا ، لا بما أعلمه خبرا ، بل بالاستدلال التاريخى على القاطه التى أودعها ما سماه « التجربة رقم : ١ » ، وهى تجربته فى اللغة العامية ، ولن أعيد القاطها هنا ، لأنى أثبتها فى المقالة السالفة • وقد زعم أنه فى سنة ١٩٣٧ (١) كان يتعلم مبادىء اللغة الايطالية ، ووقف عند المبادىء ، فاسترعى انتباهه أن البعد بين اللغة اللاتينية المقدسة، ولهجتها المنحطة الايطالية أقل من البعد بين اللغة العربية المقدسة ، ولهجتها المنحطة المصرية (٢) وأنه ظل الى سنة ١٩٤٠ يدعو الى ذلك، ثم أفهمه بعض من يفهم!! أن المسالة حساسة ، لأنها تتصل بالدين رأسا !! لأن الأمر قد ينتهى بعد قرن أو قرنين الى ترجمة القرآن الى اللغة المصرية ، كما حدث للانجيل أن ترجم من اللاتينية الى اللغات الاوربية الحديثة (٣) ثم زعم أنه يفهم أن الاعتراف باللغة المصرية (اى العامية) ، لايتبعه بالضرورة موت اللغة العربية ، اذا احتاط الناس لذلك !! وانه ليس عنده مايمنع من قيام الأدبين جنبا الى جنب ، اللهم الا اذا شككنا فى جدارة اللغة العربية والأدب العربى وقدرتهما على الحياة • (انتهت التجربة مختصرة) • وسأريك أن هذا كما قلت ، كذب كله ، فهو لم يفكر فى شيء، وانما لقن أشياء كما يلقن سائر الدعاة الصغار الذين يرددون ما يلقى اليهم ترديد الببغاوات • هذه هى القضية •

وهذا هو تاريخها ، ولكنه تاريخ طويل جدا ، ومتقادم جدا ، ويؤسفنى أن أكون مضطرا للايجاز• فمنذ استيقظ العالم الاوربى لنهضته الحديثة ، وهو يرى عجبا من حوله : أمم مختلفة الأجناس والألوان والالسنة ، من قلب روسيا ، الى الصين ، الى الهند ، الى جزائر الهند ، الى فارس ، الى تركيا ، الى بلاد

العرب ، الى شمال افريقية ، الى قلب القارة الافريقية وسواحلها ، الى قلب أوربا نفسها ، تتلو كتابا واحدا يجمعها ، يقرؤه من لسانه العربية ، ومن لسانه غير العربية ، وتحفظه جمهرة كبيرة منهم عن ظهر قلب ، عرفت لغة العرب أم لم تعرفها ٠ ومن لم يحفظ جميعه حفظ بعضه ، ليقيم به صلاته ، وتداخلت لغته في اللغات ، وتحولت خطوط الامم الى الخط الذي يكتب به هذا الكتاب ، كالهند ، وجزائر الهند وفارس ، وسائر من دان بالاسلام ٠ فكان عجبا ان لا يكون في الأرض كتاب كانت له هذه القوة الخارقة في تحويل البشر الى اتجاه واحد متسق، على اختلاف الأجناس والألوان والألسنة ٠ فمنذ ذلك العهد ظهر « الاستشراق » ، لدراسة أحوال هذا العالم الفسيح الذي سوف تتصدى له اوربا المسيحية بعد يقظتها ، وعلى حين غفوة رانت على هذا العالم الاسلامي ٠ فكان من أول هم « الاستشراق » ، أن يبحث لأوربا الناهضة عن سلاح ، غير أسلحة القتال ، لتخوض المعركة مع هذا الكتاب الذي سيطر على الامم المختلفة الاجناس والالوان والالسنة ، وجعلها أمة واحدة تعد العربية لسانها ، وتعد تاريخ العرب تاريخها ، وبدأ الغزو المسلح ، وسار الاستشراق تحت رايته ، وزادت الخبرة بهذه الأمم ، فمن كان منها له لسان غير اللسان العربي ، أعدت له سياسة جديدة لاغراقه في لسان الغازي الاوربي حتى يسيطر عليه ، ومن كان لسانه عربيا ، أعدت له سياسة اخرى لاغراقه في تخلف مميت ، لخصها وليم جيفور ديلجراف في كلمته المشهورة : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة (يعني الحضارة المسيحية) التي لم يبعده عنها الا محمد وكتابه » ٠ فكان بينا انه لايمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته ٠

وتبين لهم ان لاوسيلة الى اقصاء القرآن في الأرض المفتوحة ، الا بالسيطرة على وسائل التعليم شيئا فشيئا ، حتى لاتتمكن الامة من السيطرة عليه ، فتقيمه على طريق سوى يفضي الى نهضة صحيحة ٠ وكان من قدر الله أن منارة العالم الاسلامي كله كانت في مصر ، وهي الأزهر ، فصار من الحتم المقطوع به أن تكون سياسة الغزو الاوربي موجهة الى مصر ، قبل كل مكان في هذا العالم الاسلامي ٠ فمن أجل ذلك كانت حملة نابليون سنة ١٢١٣ من الهجرة (١٧٩٨م) ولكنه لم يلبث بها الا قليلا ثم رحل ٠ وبعد قليل أيضا صار أمر مصر الى محمد علي سنة ١٢٢٠ من الهجرة (١٨٠٥ م) ، فمن خلال حكمه ، سيطرت القناصل الاوربية على مرافق البلاد ، ومنها التعليم، فحال جهل محمد علي وحبه للعظمة ، بينه وبين مقاصد هؤلاء الغزاة المتربصين ، في توجيه التعليم الى جهة غير صحيحة ولا نافعة ، فلم يكن للغة البلاد نصيب مما ظنه محمد علي ارتقاء بالبلاد وبتعليمها ٠ وكذلك حدثت أول فجوة بين التعليم ، ولغة التعليم٠

ثم أرسلت البعثات الى فرنسا سنة ١٢٤٢ هجرية (١٨٢٦م) ، فكان ممن رافق هذه البعثات العلمية شاب في الخامسة والعشرين من عمره ، كان ممن تلقى علومه في الأزهر ، ليكون لهم اماما ، فبجده واجتهاده تعلم الفرنسية ، وقرأ بها ماشاء الله من الكتب ، وكان الرجل ، كما يظهر في كتبه ، ذكيا سليم الطوية ، وفيه غفلة يسيرة ، جعلته أحيانا يقف كالحائر فاغرا فاه من عظمة ما رأى في بلاد الفرنسيس !! فلما عاد الى مصر ألف وترجم ، فكان مما ألف ، كتاب سماه « أنوار توفيق الجليل ، في أخبار مصر وتوثيق بني اسماعيل » (سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨ م) فعقد فصلا ذكر فيه فضل العربية ووجوب احيائها ، ولكنه ضمنه دعوة الى استعمال العامية فقال : « نعم ان اللغة المتداولة في بلدة من البلاد ، المسماة باللغة الدارجة ، التي يقع بها التفاهم في المعاملات السائرة ، لامانع أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ تضبطها ، وأصول على حسب الامكان تربطها ، ليتعارفها أهل الاقليم ، حيث نفعها بالنسبة اليهم عميم ، وتصنف فيها كتب المنافع العمومية والمصالح البلدية » ٠

ولكني لا أكاد أشك أن هذا الرأي الذي وقع فيه **رفاعة الطهطاوي** ، لم يكن رأيا استحدثه هو ، بل جاءه أيام كان مقيما مع البعثة بفرنسا، غره به داهية من دهاة القوم ، عرف ما يكن رفاعة لبلاده من حب التقدم ، فلم يزل به حتى أراه الباطل حقا ، والا كيف غاب عن رفاعة أنه كان أولى به أن يدعو الى تعميم التعليم في كل بلدة من البلاد ، كما كان ذلك في البلاد الغربية التي أعجبته حضارتها واستخرجت دهشته !! فهل رأى هو في فرنسا ان أهل كل اقليم أو قرية يعلمون أبناءهم اللغة الدارجة ويكتبون بها « كتب المنافع العمومية ، والمصالح البلدية » !! هذا عجب ٠ بيد أن هذه الدعوة من رجل عربي مسلم ، لم تلق سميعا ولا مجيبا ، وذهبت أدراج الرياح ٠

ولكن لم يمض غير قليل حتى انشئت المدارس الابتدائية ، التى كانت قد الغيت فى عهد محمد على، فصارت نحو ثلاثين مدرسة (فيما بين سنة ١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) ، فاحتاجت الى عدد وافر من اساتذة اللغة والأدب ، هذا فضلا عن المدارس الثانوية على قلتها يومئذ ، ولكنها مقبلة على الزيادة • فأنشئت مدرسة دار العلوم سنة ١٨٧٢ ، اى قبل وفاة رفاعة الطهطاوى بعام واحد • فتولى التدريس فيها رجل من عظماء رجال الاحياء ، هو الشيخ حسين المرصفى، فكان له أثر عظيم فى احياء اللغة وآدابها ، والف كتابه «الوسيلة الأدبية» فكان له فضل عظيم جدا على كل من تخرج فى دار العلوم • واقترن وجود المرصفى ، بظهور شاعر فذ نقل اللغة يومئذ من حال الى حال ، فاسقط عن الهمم تلك الأغلال التى كانت تمسكها الى الأرض ، وتقعدها بالعجز عن توهم ادراك الاوائل فى نصاعة العبارة وتجويد الشعر • وهو الامام الاول محمود سامى البارودى المولود سنة ١٨٤٠) وظهر اسمه وشعره فى نحو هذا الوقت، اى (١٧٨٠) ، وبدات العربية من يومئذ تستعيد شبابها وقوتها ، وانطلقت الالسنة من عقال العجز، بفضل هذين الرجلين •

ولكن أنى للعين الساهرة أن تغفل عن عواقب ما ترى من حركة الاحياء؟ كان كثير من أهل الحل والعقد منذ عهد محمد على ، ممن درس بغير اللسان العربى ، وله أصل غير عربى، ونمو فى بيئة غير عربية، يزدرى العربية أو لايلقى لها بالا ، ولأنهم أصحاب سلطان، كان كثير من صغار الموظفين واشباههم يحاكيهم ويتشبه بهم ، ويتراطن كتراطنهم ، فرأى أحد رجال الحرب الثقافية الخفية ، أن الوقت قد حان ، وأن لابد من الاسراع فى بث الدعوة التى تعوق حركة الاحياء، أو تشتت بعض الجهود ، وعسى ولعل أن يكون لها أثر • هذا مع ظهور بوادر الثورة على حكم أسرة محمد على ، وتجمع القوى تحت قيادة أحمد عرابى ، ليفض هذا الكابوس المطبق على صدر مصر وأهلها • فاذا زال حكم هذه الأسرة وأتباعها ، وأفضى الأمر الى أهل البلاد ، فربما اشتعلت حركة الاحياء فى كل قرية وبلد ومدينة • وعندئذ يذهب أيضا كل ما يدبر أدراج الرياح •

كان يقبع بين جدران دار الكتب المصرية ، ماكر خبيث يقال له ولهلم سبيتا، نزل مصر ، وعاش فى الأحياء المصرية ، ودرس اللغة العامية ، ووجد أنها تختلف من بلد الى بلد ، ومن حى الى حى ، فلما رأى هو ومن يهدف الى تحطيم حركة الاحياء من أهل الاستعمار الاوربى ، أن الامر يوشك أن يخرج الى ما لايحمدون عقباه من سيادة اللغة العربية ونهضتها مرة أخرى ، سارع الى تاليف كتاب سماه « قواعد اللغة العامية فى مصر » ، ولكنه لم يقتصر فيه على الدراسة بل كشف فى مقدمته عن الغرض الذى يرمى اليه فقال : « واخيرا ساجازف بالتصريح عن الأمل الذى راودنى على الدوام طول مدة جمع هذا الكتاب ، وهو أمل يتعلق بمصر نفسها (ما اشد حبك لمصر !!) ، ويمس أمرا هو بالنسبة لها والى شعبها يكاد يكون مسالة حياة أو موت (بلا شك يا ولهلم !) ، فكل من عاش فترة طويلة فى بلاد تتكلم العربية يعرف الى اى حد كبير تتأثر كل نواحى النشاط فيها ، بسبب الاختلاف الواسع بين لغة الحديث ، ولغة الكتابة » • وبين جدا أن ولهلم هذا مخادع عظيم ، لأن نشر التعليم الصحيح كاف فى ازالة هذه الصعوبة بلا أدنى ريب ، كما حدث فى جميع لغات الدنيا ، ولا يزال يحدث الى اليوم • ثم يقول : « ففى مثل تلك الظروف ، لا يمكن مطلقا التفكير فى ثقافة شعبية ، اذ كيف يمكن فى فترة التعليم الابتدائى القصير ، أن يحصل المرء حتى على نصف معرفة بلغة صعبة جدا كاللغة العربية الفصحى ؟ » • ولا شك ان ولهلم هذا أقدر الناس على معرفة صعوبة اللغة الفصحى ! لانه أدرى الناس بها، ثم يتجه الى ناحية أخرى فيقول : « وطريقة الكتابة العقيمة ، اى بحروف الهجاء المعقدة ، يقع عليها بالطبع اكبر قسط من اللوم فى كل هذا ، ومع ذلك فكم يكون الأمر سهلا لو أتيح للطالب ان يكتب بلغة، ان لم تكن هى لغة الحديث الشائعة ، فهى على كل حال ليست العربية الكلاسيكية القديمة ، بدلا من أن يجبر على الكتابة بلغة هى من الغرابة بالنسبة الى الجيل الحالى من المصريين ، مثل غرابة اللاتينية بالنسبة الى الايطاليين • وبالتزام الكتابة بالعربية الكلاسيكية القديمة ، لا يمكن أن ينمو أدب حقيقى ويتطور » •

وظاهر ان جميع التالفين قديمهم وحديثهم ، كسلامة ولويس عوض ، انما يكررون هذه المقالة بلا تغيير ولا تبديل ، وتشبيههم هو نفس التشبيه• ثم انظر ما يقول فى شان القرآن ، وقارن بينه وبين ما يقوله لويس عوض : « فلماذا لا يمكن تغيير هذه الحالة المؤسفة الى ماهو احسن ؟ ببساطة، لأن هناك

خوفا من التعدى على حرمة الدين ، اذا تركنا لغة القرآن كلية . ولكن لغة القرآن لا يكتب بها الآن فى اى قطر . (انظر ماذا يقولون !) . فأينما وجدت لغة عربية مكتوبة ، فهى اللغة العربية الوسطى ، أى لغة الدواوين . وحتى ما يدعى بالوحدة بين الشعوب الاسلامية (انظر ماتتضمنه هذه الكلمات !) لا يمكن ان يقلقها تبنى لغة الحديث العامية ، إذ ان لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى ، ستظل كما هى فى كل مكان » . وهكذا مفت آخر جاء يفتى المسلمين فى دينهم ، كما أفتى لويس عوض بجواز ترجمة القرآن الى العامية !

ولم يلبث الا قليل ، حتى قام المقتطف ، وكان ممالئا للانجليز ، فاقترح سنة ١٨٨١ كتابة العلوم بلغة الحديث ، بلا اشارة لما قاله سبيتا ، (سنة ١٨٨٠) واستدل على ضرورة ذلك بما استدل به سبيتا ، وجاء أيضا بالتشبيه نفسه ، أى « البعد بين اللاتينية والايطالية » ، وادلته وحججه ، فيها نفس الطابع المتسم بالغباوة الاستشراقية التبشيرية، التى تتظاهر بالجد والعلم . وهى فى الحقيقة تكشف عن طبيعة عدم الحياء من استغفال السامعين أو القارئين . وعمل المقتطف سيء جدا ، لأنه استغفل الناس مرتين ، مرة بالحجج السخيفة المختلسة ، ومرة بالتظاهر بأن هذا الاقتراح آت من قبل قوم عرب اللسان والمولد ، هم أصحاب المقتطف ، مع أن انكشاف أمرهم قريب كان وميسور . وهذا هو نفس الخداع الذى لجأ اليه لويس عوض ، كما ترى !

وبالقاء المقتطف هذه القنبلة ، سنة ١٨٨١ ، بدأت كلمات سبيتا تأخذ طريقها الى بعض الناس . وقام الشيخ خليل اليازجى ، وهو لبنانى نصرانى، فدفع ما قاله أصحاب المقتطف دفعا شديدا ، وهو كلام عاقل لا هوى له . ولكن أيد رأى المقتطف بعض الناس . ولكن الأمر كله لم يخرج عن هذا النطاق الضيق . وشغل الناس بالنكبة الكبرى ، بهزيمة عرابى ، ودخول الانجليز ، واستيلائهم على التعليم كله ، وجعله ملحقا بوزارة الأشغال العمومية .

ولكن هل هذا الأمر وانتهى ، كلا ، فقد كان أيضا فى مصر «كارل فولرس الألمانى » ، خادم الانجليز ، وويلككس المهندس الانجليزى ، وبدا كل منهما حركة منفصلة ، ولكنها متصلة المعانى ، فألف فولرس كتابا فى «اللهجة العامية الحديثة فى مصر » ، (سنة ١٨٩٠) ثم تولى ترجمته فى سنة ١٨٩٥ الى الانجليزية بوركيت . والح على ما الح عليه سبيتا، من صفة العربية الفصحى بالجمود والصعوبة، وشبهها باللاتينية ، وشبه العامية بالايطالية . اما ويلككس، فالقى محاضرة ونشرها فى مجلة الأزهر ، التى آلت اليه سنة ١٨٩٣ ، وزعم فيها أن الذى عاق المصريين عن الاختراع ، هو كتابتهم بالفصحى ، ودعا الى التاليف بالعامية ، وقال للناس : « وما أوقفنى هذا الموقف الا حبى لخدمة الانسانية ورغبتى فى انتشار المعارف ، وما أجده فى نفسى من الميل اليكم ، الدال على ميلكم الى » ، وهذا كلام ثقيل الدم جدا كوعظ المبشرين، وهو منهم، وهذا الغبى أيضا جاء بتشبيهات جديدة فى مقالته ، فشبه الفصحى باللاتينية ، والعامية بالانجليزية ! وهذه براعة خارقة ، وزعم ان اللغة الفصحى ماتت، لأنها صعبة وجامدة ، ودعا الى اتخاذ العامية لغة أدبية اقتداء بالانجليز . ولا أستطيع أن أكتم اشمئزازى ، لأنى منذ كنت صغيرا الى هذا اليوم، لااكاد اقرأ كلام هذا الرجل الا لحقنى الغثيان من ثقله الذى لامثيل له فى شىء من الاشياء مهما استقذرتها النفس . ومن أشد غثاثته وثقله فى هذا الأمر أنه نشر فى المجلة (الأزهر) ، حيث نشر محاضرته اعلانا يغرى فيه باتخاذ العامية فى الكتابة هذا نصه : « من قدم لنا هذه الخطبة باللغة الدارجة المصرية، وكانت موافقة جدا، يكافأ باعطائه أربعة جنيهات افرنكية ، وان كثر المتقدمون ، فيعطى هذا المبلغ لمن يحوز الأولية » . وأنا أستحلف القارىء ، ألم يشعر بالغثيان من هذا المبشر الصفيق الوجه !

وكانت هذه الدعوة الى العامية مؤقتة أيضا ، فان هذا الوقت قد صادف نهضة حسنة فى طبع كتب التراث العربى فى مصر وفى غير مصر ، وأقبل كثير من المتعلمين عليها ، وصادف أيضا استيلاء دنلوب على التعليم فى مصر ، ووضعه النظام الذى اراد به أن يغلب اللغة الانجليزية فى التعليم ، ويضعف تدريس العربية ما استطاع ، ويجعلها مبغضة الى الطلبة ومحتقرة بقدر الامكان . (ومع الاسف هذا هو النظام السائد الى اليوم فى مدارسنا ، مع أنه هو نظام دنلوب ، ولانظام لدنلوب سواه) . ففرض دنلوب تعليم العلوم كلها بالانجليزية ، واختصر

دراسة العربية وما يتصل بها اختصارا سوف يؤدي بعد قليل ، الى وجوب استمرار ضعف تعليم العربية جيلا بعد جيل . وصادف مرة أخرى بدء ظهور الشعور الوطني في الشبان الذين صدمهم الاحتلال الانجليزي ، والذين يمثلهم مصطفى كامل، وبدأت حركات اصلاح مضادة لما يفعله الانجليز ، فآثر هذا المبشر أن يلقي بدعوته ، ليكون ذلك أوقع لها ، واشد اثارة لبلبلة ضعاف النفوس ، وطالبي التقرب ، وذوي الميل الطبيعي الى ويلككس واشباهه .

وكانت الحركة الادبية في ذلك الوقت آخذة في النمو ، برغم جميع العوائق التي تعترض سبيلها ، وكانت المدارس التي يملك دنلوب زمامها ، ترغم أسلوبه على التقهقر احيانا ، وزاد عدد العائدين الى الفصحى من الكتاب والشعراء والخطباء والمدرسين ، وذلك ضرب من مقاومة العدو الباغي الذي يفرض سلطانه على البلاد . والظاهر أن الجهات التي تسيطر على سياسة المنطقة ، أرادت أن تبعث وجها جديدا ليتولى الدعوة الى العامية ، وتحقير الفصحى، فاخرجت من أحد قضاة المحاكم رجلا يقال له «سلدن ولمور» ، فألف هو الآخر كتابا سماه : « العربية المحلية في مصر » (سنة ١٩٠١)، دعا فيه الى اتخاذ الحروف اللاتينية في الكتابة العربية ، واتخاذ اللاتينية لغة أدبية ، ويهددنا اننا اذا لم نفعل ذلك «فان لغة الحديث ولغة الادب ستنقرضان ، وستحل محلهما لغة أجنبية ، نتيجة لزيادة الاتصال بالامم الأوربية » . وهذا الانجليزي كما ترى محب لمصر ، مشفق على ضياع العامية والفصحى جميعا !! وقال: « ومن الحكمة أن ندع جانبا كل حكم خاطيء وجه الى العامية ، وأن نقبلها على انها اللغة الوحيدة للبلاد ، على الأقل في الأغراض المدنية ، التي ليست لها صبغة دينية » . ولا سيما بعدما ظن ولمور انه قد أثبت أن العامية تختلف عن الفصحى تمام الاختلاف ، وانها أكثر شبها بفروع اللغات السامية منها بلغة القرآن ولغة الادب العربي القديم . ثم ختم كلامه بأن «خير الوسائل لتدعيم اللغة القومية (أي العامية) ، هي أن تتخذ الصحف الخطوة الاولى في هذا السبيل ، ولكنها ستكون في حاجة الى عون قوي من أصحاب النفوذ ، فاذا نجحت هذه الحركة ، فان وقتا قصيرا في التعليم الاجباري ، وليكن سنتين ، سيكون كافيا لنشر القراءة والكتابة في البلاد » . وبالطبع هذا سخف لست بصدد مناقشته ، ولكن هذا المخادع اتخذ حيلة لطيفة لاقناع حكومة مصطفى فهمي الممالئة لقومه الانجليز، فانه فرغ من مقدمة كتابه التي حشاها هذا الخلط ، ثم زعم أنه علم بظهور مقالة لعالم أمريكي في فقه اللغة «يهتم اهتماما كبيرا بخير الشعب المصري» !!، وانه وافقه هو وسبيتا وويلككس !! على وجوب اتخاذ العامية لغة أدبية ، وكتابتها بحروف لاتينية، وان هذا العالم الامريكي (يا للكذب !) يناشد الحكومة المصرية لتعترف بالعامية وتقرها ، ويناشد الانجليز لتدعيم هذه العامية ، ليساعدوا على تقدم الشعب الروحي !! (ما هذا ؟) ، كما ساعدوا من قبل على تقدمه في الحياة المادية . ويعني بذلك عهد كرومر ، كما هو معروف . وهذا العالم الامريكي الذي ادعى ولمور انه نقل عنه ، ليس سوى مبشر مثله ، ولذلك أخفى اسمه ولم يذكره . ومما يدل على شخصية ولمور هذا أنه جعل يشكر رؤساء المصالح الحكومية ، لاكتتابهم في عدد من نسخ الكتاب ، مما مكنه من طبعه . هذا ليس قاضيا ، انما هو شحاذ ، والا فكيف عجز عن طبع كتابه في بلاده ؟ .

فلما ظهر كتاب ولمور (سنة ١٩٠١) ، استجاب المقتطف مرة أخرى لدعوة العامية ، فهب يقرظ الكتاب ، كأنه جاء تأييدا لرأيه هو واقتراحه ، لا لرأي سبيتا واقتراحه . ولكن محصل كل ذلك لا يخفى ، لأن الذي كان يبيته هؤلاء كان يجري على ألسنتهم واقلامهم ، فيقول المقتطف في تقريظه : «وكثيرا ما قلنا للأوروبيين والامريكيين الذين ذاكرونا في هذا الموضوع ، انه لو اهتم محمد علي باشا جد العائلة الخديوية ، بكتابة اللغة المحلية في مصر والشام ، وجعل الكتابة بها وحدها ، لما وجد في ذلك كبير مشقة » . ثم يأتي في آخر الكلام تحريض شديد : «... الا اذا تسلطت على البلاد قوة قاهرة، عضدت الساعين في ضبط اللغة المحلية وكتابتها». وينبغي لكل عاقل أن يقف قليلا عند ذكر محرر المقتطف : «وكثيرا ما قلنا للاوروبيين والامريكيين» ، واذن فالأمر موضوع للحديث بين الأوربيين والامريكيين ، قبل أن يتظاهر المقتطف في سنة ١٨٨١ أن له اقتراحا في شأن العامية والفصحى ،

ويقول فيها نفس ما قاله سبيتا قبله سنة ١٨٨٠ ، مغفلا ذكره ، وكأنه لم يكتب شيئا ، وكان سبيتا بعيد الدار لا يستطيع محرر المقتطف أن يلقاه بدار الكتب (أرجو أن يحدثني من يريد ، عن هذه الدعوة التي تحاط بكل هذا المكر والرياء والخداع والغش ، ماهي ؟ أهي صادرة من قلوب خالصة طالبة للحق مطالبة به ؟) ، ثم ما اهتمام الاوربيين والامريكيين ، وليس لسانهم بلساننا ، في شأن اتخاذ العامية للكتابة الأدبية أو ترك الكتابة بها الى الفصحى ؟ ثم لماذا يقول هذا للاوربيين والأمريكيين، وكان هو قادرا تحت سلطانهم يومئذ أن يفعل ذلك في مجلته ؟ انها أمور غير مفهومة ، بل مفهومة ، تجعل كل عاقل يرتاب في كل داعية للعامية من هذه الناحية الخبيثة وحدها ، فما ظنك بالنواحي الأخر ٠

وكانت مقالة المقتطف يومئذ أعظم أثرا من رأيها الاول أو اقتراحها ، لأنها جاءت مؤقتة مع الحركة الوطنية ، ومع البعث الثقافي ، فنشطت الألسنة ، وكثر اللجاج في شأن العامية والفصحى ، وكان له عوامل خارجة عما نحن فيه الآن ، تزيده لجاجا ، ولكن الشيء الغريب ، وهو ليس بغريب في الحقيقة، هو أن مجلة الهلال التي تميل بهواها الى ناحية الفرنسيس ، لم تشهد الجولة الاولى ، لا مؤيدة ولا منكرة ، لأنها لم تكن أنشئت بعد ، ولكنها شهدت هذه الجولة ، فانحازت الى معارضة رأى الدعاة الى العامية ، ولكن ظني أن هذا موقف وحسب لايتضمن أى دلالة على الرأى ، لأسباب كثيرة لا محل لذكرها هنا ٠ وحسبك أن تعلم انها أفسحت صدرها لكثير من دعاة العامية ، بأحقادهم وضغائنهم ، في تلك السنة ، وظلت تفعل ذلك حتى استكتبت سلامة موسى فيما بعد ، فكتب لها شرا مما كتبوا جميعا ٠

فبعد سنة ١٩٠١ ، ظل الامر مضطربا ، ولكن ظهر بوضوح للدعاة أن أمرهم قد استوى على وجه يرضونه ، وينبغي أن يغيروا الموقف ، ويبدلوا الأماكن ، ويخلعوا الملابس ، ويتولوا تطرية وجوه الممثلين الجدد بالمساحيق الصالحة ٠ ومع ذلك فأنا لم أكشف اللثام عمن وراء هؤلاء الدعاة ، لان التلويح فيما قلت يدل عليهم ، وعسى ان يأتي ما يدعو الى بيان أوضح ، وهو آت على كل حال ٠

والشيء الذي لا أظن الدارس يخطئه ، هو ارتباط هذه الدعوة فترة بعد فترة بأحداث سياسية واجتماعية ظاهرة أو خفية ، تأتي قبل شيء يكون نكبة وقارعة ، كما كان سبيتا قبل هزيمة عرابي والانتقام منه ، أو تأتي بعد النكبة بشكل آخر كما جاء ولمور هذا الذي ختمنا به هذا الفصل من البيان عن دعوة العامية ٠ وسأدع الآن هؤلاء الاجانب والعملاء الذين حملوا كبر الدعوة الى اللغة العامية ، ومن لف لفهم من محرر المقتطف الى الاسماء المتخفية بلا شخوص ، الى الاسماء التي ظهرت مرة واختفت فلا يعرف عنها شيء . وهذا موضع وقوف لابد منه؛ لان الامر سوف يختلف اختلافا شديدا فيما بعد ٠

وقد تبين خلال هذا العرض السريع ، ان التجربة التي مر بها لويس عوض في مسألة الدعوة الى العامية ، تجربة هو مسبوق اليها ، وغير معقول أن لا يكون عرف عنها شيئا ؛ ولا أحب أن أقول لماذا هو غير معقول ، لا استنباطا ، ولكن بنصوص كلام أيضا ٠ وتبين أيضا أن الافكار الثلاثة التي دارت في تجربته كلها منقولة نقل مسطرة من كتب كان يتوهم هو انهما غير موجودة الا في بعض الخزائن العميقة المظلمة التي لا تصل اليها الايدي بسهولة ووضوح ٠ ومادام مسبوقا اليها حرفا حرفا، وخطوة خطوة ، وتشبيها تشبيها ، فهو بلاشك مدع وكاذب في تجربته ، بل هو يعيش في أحلام وسمادير لا حقيقة لها ، فربما قرأ الخبر عن غاز من الغزاة ، فتراه في اليوم الثاني يمشي في الارض كأنه لساعته نزل عن صهوة حصانه ، شاهرا سيفه ، يريد ان يطعن ولكن يحجبه الخوف والذعر ، وهذه صورة تلقاها كثيرا فيما كتب عن «الخلفية التاريخية لرسالة الغفران ، كما سماها والعياذ بالله ٠ وسأتابع عرض هذه الدعوة ، والكشف عن خفاياها وروابطها، لكى أضع هذا الداعية الجديد في الموضع الصحيح الذي سوف يتبين انه خطر اى خطر ، برغم ما تلبس به من أردية الجامعات ، وما علق على اسمه من الالقاب ، وما أسند اليه من استشارة ، وهذا أغرب شيء ، لأنه كان يقال في المثل : «المستشار مؤتمن» ، فجاء هذا فنقض علينا أمثالنا ، كما نقض علينا الفاظ لغتنا ، ومع ذلك ، فالعرض مستمر ٠

محمود محمد شاكر

نشيد الأناشيد

للدكتور: فؤاد حسنين على

امتاز عصر سليمان بازدهار الفلسفة والشعر وخاصة الاغانى والاناشيد وعنى سليمان بجمع الشعر فى دواوين خاصة حتى لا تصل اليه يد الفناء والباحث فى تاريخ التراث العقلى لهذه الشقة من الجزيرة العربية يدرك أثر هذه النهضة الثقافية وذلك التطور الاجتماعى فى نشيد الاناشيد ٠

فالحبيبة هنا تشبه بفرس فى مركبة فرعون وهى تتحلى بمختلف أنواع الحلى وتطيب بشتى أصناف الطيب ، ولا ترى الا وقد تحلت بالقرط والقلائد الذهبية والفضية بينما قنعت المرأة هناك قبل عصر سليمان بالقرط العادى البسيط الذى تزين به أذنيها او انفها كما حلت جبينها وشعرها بالصفائح الفضية او الذهبية ٠

اما القلائد فكان معظمها من اللآلىء، أو الاسطوانات الزجاجية او المعدنية ، وما يقال عن الحلى يصدق فى الملبس والمأكل والمسكن واقامة معالم الزينة والافراح ٠ فنشيد الاناشيد مرآة صادقة لحياة الترف والنعيم التى انتشرت فى عصر سليمان ٠

لكن للنشيد قيمة أخرى غير هذه القيم الاجتماعية وهى التى تعنينا هنا ، خصوصا أن هذه القيمة الادبية لا تقتصر على الادب العبرى فحسب بل تتعداه الى الادب العربى أيضا وبخاصة الجاهلى فالمقابلة بين الصورة الشعرية الواردة فى نشيد الاناشيد وتلك التى نجدها فى شعرنا الجاهلى تضطرنا ، وهنا أعنى المتبصرين منا فى تاريخ ادبنا العربى ، الا تتهور وتصدر أحكاما فى غير ترو وتدبر فى شعرنا وفنونه كذلك الذى يدعى **«ونشأت فنون لم تكن مألوفة عند الجاهليين كالغزل الخالص الذى يقصر الشعراء انفسهم عليه كما فعل العذريون الذين لم يقولوا الشعر الا فى الحب وفنونه المختلفة وكعمر بن ابى ربيعة القرشى الذى لم يكن عذريا ولكنه لم يقل الا الغزل »**

يقينا ان صاحب هذا الرأى مخطىء عند ما يخلط بين الادب والدين فهو يجعل ظهور الاسلام حدا ادبيا بين العربية الجاهلية والعربية الاسلامية ، ان مثل هذا التقسيم يصدق عندما ندرس العقائد العربية الدينية وتطورها اما اذا ما عرضنا للغة والادب ، فالامر مختلف تماما اذ القرآن الكريم مثلا وهو خير ما استشهد به هنا جاهلى العبارة ، جاهلى الدلالة أرضى المبانى سماوى المعانى تنزل به الوحى عربيا جاهليا ، ومن ثم ظلت هذه العربية بدوية فصيحة فياضة خالصة من كل شوائب الأعجمية الاسلامية طيلة قيام دولة الامويين ، فالعربية نثرا وشعرا حتى قيام الدولة العباسية تعتبر من الناحية الادبية اللغوية عربية جاهلية فشعر جرير جاهلى ، والفرزدق جاهلى والبعيث جاهلى وكثير جاهلى وتابت قطنة جاهلى ، وكذلك قل فى العجاج ، ورؤبة وغيرهم، فقول الدكتور طه حسين « ففى العصر الاسلامى أيام بنى امية » قول فيه افتراء على العقلية العربية ٠٠ والادب العربى نثرا وشعرا ٠ أما اللغة العربية الاسلامية فلم تنشأ الا من اختلاط الأعاجم بالعرب ففسدت السليقة وضمرت الفصحى وظهرت المواليا والفنون الشعرية السبعة مثل الكان كان والدوبيت ٠٠ الخ ٠

ويفيدنا نشيد الاناشيد أيضا فى الفصل فى هذه الاحكام التى تلقى جزافا حول شعرنا جاهليا كان أو اسلاميا فالمؤرخون يقررون فى شىء من الجرأة ان امرأ القيس مثلا أول من وقف على الأطلال وبكى واستبكى ومن تشبيهاته المبتكرة :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

أو قوله :

وبيضة خدر لايرام خباؤها
تمتعت من لهو بها غير معجل

ويقرر المؤرخون ايضا أن النابغة كان السابق في اعتذارياته وفي كثير من المعاني المبتكرة ٠

وقالوا في الاعشى انه صناجة العرب ، وتفيض كتب الادب العربي بمثل هذه الاحكام المرتجلة ٠

نعم ان هذه الصور وردت في شعر عربي جاهلي بينما شبيهتها سواء في نشيد الاناشيد أو غيره من المختارات الشعرية العبرية الممتازة في العهد القديم قد جاءت في العبريةالا أن الحقيقة التي يجب ادراكها أن العبريين قبل أن يعبروا الاردن ويعرفوا باسم عبريين كانوا يحيون حياة عربية بدوية ، فلما نزحوا الى فلسطين جاءوا ومعهم خيالهم الصحراوي وقريحتهم العربية وقدلازمتهم هذه الخصائص عصورا طوالا ، ومن ثم أخذت تتطور وتجاري الاحداث التاريخية ٠

فهذه الصور الشعرية التي نجدها مشتركة بين الادبين ترجع في الواقع الى تلك العصور التي عاشت فيها هذه القبائل في صعيد واحد ، وای حکم على تاريخ أو تحقيق صورة شعرية في احدى اللغتين يتطلب منا ولا شك الرجوع الى اللغة الاخرى وبعد ذلك يحق لنا أن نصدر أحكاما في تاريخ الادب أو صوره ٠

ولعل اوضح لوحة شعرية يشترك فيها غزل النشيد مع الشعر العربي الجاهلي هي تلك التي يعرضها امرؤ القيس في معلقته حيث يقول :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
لدى الستر الا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله ما لك حيلة
وما أن أرى عنك الغواية تنجلي

وفي هذا المعنى يغنينا النشيد :

أنا نائمة وقلبي يقظ
حبيبي يطرق
افتحي لي ياأختي ياحبيبتي
حمامتي غانيتي
كسا الطل هامتي
ورش الليل قصصي
خلعت غلالتي فكيف البسها
وغسلت قدمي فكيف أوسخها

وفي موضع آخر من المعلقة يقول امرؤ القيس أيضا :

وفرع يزين المتن أسود فاحم
أثيث كقنو النخلة المتعثكل

ويصورها النشيد بقوله :

شعرك يتماوج تماوج شعر معز تنحدر من جبل جلعاد ٠

قامتك نخلة وثدياك كبائس
قلت تسلقها وأمسك باعذاقها

***

واذا تركنا امرأ القيس الى عمرو بن كلثوم وجدناه يقول في معلقته :

وساريتي بلنط أو رخام
يرن خشاش حليهما رنينا

ويذكر النشيد :

ساقاه عمودا رخام أبيض تقومان على قاعدتين من الابريز ٠

دوران وركيك حلية صبها فنان ٠

وليست هذه التشبهات وتلك الصور قاصرة على المعلقات ، فهاهو المرقش الأكبر في قصيدته التي مطلعها :

الا بان جيراني ولست بعائف
اذان بيه صرف النوى ام مخالفي

يصف النواعم الأبكار بقوله :

يهدلن في الآذان من كل مذهب
له ربذ يعيا به كل واصف

ويقول المرقش الاصغر في قصيدته التي مطلعها :

ألا يا سلمى لا صرم لي اليوم فاطما
ولا أبدا ما دام وصلك دائما

في هذا المعنى :

تحلين ياقوتا وشذرا وصيغة
وجزعا نفاريا ودرا توائما

ويعبر النشيد بعبارته :

ما أجمل لهزمتيك يتدلى عليهما الحباب وجيدك حوله السخاب سنصنع لك قلائد الذهب المحلاة بالجذاذات ٠

ويصف سويد بن ابي كاهل اليشكري في قصيدته التي مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا
فوصلنا الحبل منها ما اتسع

اسنان رابعة فيقول :

حرة تجلو شتيتا واضحا
كشعاع البرق فى الغيم سطع
صقلتــــه بقضيب ناضـر
من أراك طيب حتى نصع
أبيض اللون لذيذا طعمـه
طيب الريق اذا الريق خدع

ويعرض المرار بن المنقذ العدوى لنفس المعنى فى قصيدته التى مطلعها :

عجب خـولة اذ تنـكرنى
أم رأت خولة شـيخا قد كبر

فيقول :
واذ تضـحك أبدى ضحكهـا
اقحـوانا قيـدته ذا اشر
لو تطعمت به شـبهته
عسلا شيب به ثلج خصر

ويعرض النشيد لهذا المعنى بقوله :

أسنانك كقطيع جزائز خارج من الغسل ، شياهه متئمات وليست بينهاالمفرد ،عروسىشفتاك تقطران شهدا وعسلا ، ولبنا يسيل لسانك ، ولثيابك ، ريا كشذا لبنان .

ومن الصور الشعرية الجميلة حقا هـذه التى يذكرها شبيب بن البرصاء فى قصيدته التى مطلعها

الم تر أن الحى فرق بينهم
نوى يوم صحراء الغميم لجوج

حيث يقول :
فان تك هند جنة حيـل دونها
فقد يعرف اليـاس الفتى فيعيج

ويعرض له النشيد قائلا :

جنة مغلقة . نبع مختوم وعين بكر عروسى .

هذه بعض المقابلات بين الغزل فى نشيد الاناشيد وفى الشعر العربى الجاهلى تتبين منها مدى تغلغل الخيال العربى الشاعرى الغزلى فى القدم وذلك لان أغانى نشيد الاناشيدليست من وضع شاعر بعينه بل نتاج شعب تناولها حذفا واضافة وتحـويرا وتطويرا حتى دونت شأنها فىذلك شأن سـائر الاغانى الشعبية الاخرى عند مختلف الشعوب .

والآن نتساءل : هل هذا النشيد لسليمان حقا ؟
الواقع أن مطلعه لا يؤيد صحة نسبته اليه ، نعم قد ذكر اسم سليمان فيأكثر من موضع الا أنه فى أكثر المواضع لا يذكر اسمه وان ذكرففى صيغة الغائب لا المؤلف ، وهذا الاختـلاف حول المؤلف وما جاء بالنشيد من غزل جنسى قسم اليهود منذ القدم الى شيعتين : شيعة تقول انهغزل جنسى دنيوى ،واخرى تعتبره «قدس الاقداس» أعنى أقدس كتاب .

وهذا الفريق الذى يقول بقدسية النشيد ينظر اليه نظرة صوفية رمزية ، وظل امر هـذه الرمزية سائدا لايجرؤ أحد على منـاقضته حتى جاء القرن السـابع عشر الميلادى فظهرت حركة نقد الكتاب المقدس وعرض النقاد فيما عرضوا له للنشيد فأجمعوا على بطلان قيمته الدينية . وقال نفر من العلماء ان للنشيد لونا تمثيليا يقوم بالدور الاول فيه سليمان وحبيبته وهى تخـاطب عادة بعبـارة (اختى) أو (عروسى) أو (ياأجمل النساء) وفى الآية الاولى من الاصحاح السابع تخاطب بلفظ (شولاميت) .

لكن هذا الرأى القائل بمسرحية النشيد وجـد كثيرين من المعارضين الذين يستبعدون أولا سليمان ويقولون أن المحب راع ساذج وهو الذى تخاطبـه الحبيبة بقولها :

قل لى حبيب روحى اين ترعى ؟

اين تربض فى الظهيرة حتى لا أصير كالمخبولة بين قطعان أصدقائك ؟ كذلك الحال مع الحبيبة فهى راعية اذ يرد عليها حبيبها قائلا :

ان لم تعرفى يا أجمل النساء ، اذهبى ، اقتفى أثر الغنم وارع جداءك عند اكواخ الرعاة .

وفى النشيد مواقف أخرى تؤيد وجود هذا الحوار التمثيلى وتؤكد صحة الرأى القائل بمسرحية النشيد وان كنا نصطدم فيه بعبارات أخرى تعارض التمثيلية اذ لانجد فى النشيد«الحدث» وقدأدت تلك الخصائص الى اعتباره مجموعة من الاغانى بعضها وضع للتمثيل حقا والبعض الآخر قد ضاع ولم يصلنا منه الاالقليل وقد أقحم هذا الجزء على الاغانى الاخرى فنتج عن هذا الخلط هذا المزيج الغريب فى نشيد الاناشيد .

والحقيقة التى ننتهى اليها ويجب أن نقررها هنا أن هذا النشيد عبارة عن مجموعة من أغانى الزفاف والافراح جمعت الى بعضها كما جمعت فى العهـد

القديم أناشيد أخرى فى المراثى أو الحج أو الحكمة وغيرها من المجاميع التى جاءتنا أو وصلتنا الاشارة اليها .

وما هو جدير بالذكر ان كثيرا من هذه المعانى العربية القديمة وتلك العادات ما زالت الى يومنا هذا حية مستعملة فى عالمنا العربى مع التنويه الى أن انتشارها استتبع ظهور طائفة من الشعراء الغزليين والغزلين الخلص منذ أن عرفت الانسانية الشعر ، وتغنت بالعواطف الانسانية الرقيقة فمن خطل الرأى ان يدعى مدع ان العرب الجاهلين وهم خالقو الشعر وقائلوه لم يخلص منهم شاعر للغزل ومما هو جدير بالذكر ان ابن هشام يذكر فى سيرته شيئا عن طفولة الرسول صلى الله عليه وسلم وما تحلى به من كريم الاخلاق وذكر السهيلى فى هذا الصدد ماذكره صاحب عيون الأثر بسنده وابن عساكر الى على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما هممت بشىء مما يهم به أهل الجاهلية الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمنى الله عز وجل منهما اى من فعلهما : قلت ليلة لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة فى غنم لأهله يرعاها ابصر لى غنمى حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان .

قال نعم .

فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير ، فقلت :

ما هذا؟ فقالوا فلان تزوج فلانة لرجل من قريش ، فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتنى عينى فنمت فما أيقظنى الا مس الشمس فرجعت الى صاحبى فقال ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هممت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته » .

وغير اغانى الزفاف نجد كذلك عادة تتويج العروس أو وضع الاكليل على رأسها فهذه ظاهرة جديدة جديرة بالوقوف عندها ولو وقفة قصيرة وتتساءل هل تتويج العروس كما جاء فى نشيد الاناشيد عادة استحدثتها المملكة السليمانية تشبيها للعروس بالملكة ؟ الواقع غير هذا فالتاريخ العربى القديم يذكر سواء فى النصوص أو الآثار استخدام الاكليل أو التاج كوسيلة من وسائل الزينة عند الزفاف ثم جاءت المسيحية فحاربت هذه العادات أولا باعتبارها وثنية ، وقد تزعم حملة التحرير هذه المصلح الاسكندرى (كليمنس) وغيره امثال (ترتليان) . لكن هذا التحريم للتاج أو تتويج العروس لم يدم طويلا وذلك بدليل هذه النصوص التى وصلتنا والتى ترجع الى أواخر القرن الرابع الميلادى فهى تجمع على استخدام التاج أو الاكليل فى حفلات الزفاف الكنسية رمزا للفوز والنصر .

وقد تعصب لهذه العادة الشاعر السريانى (افرايم) فطالب بوجوب مراعاتها فى الطقوس الدينية الخاصة بالزفاف ، وقد سجل الشاعر دعوته هذه فى احدى قصائده النسطورية التى تحدث فيها عن الطقوس الدينية الكنيسة عند الزواج ، وهكذا نجد تتويج العروس فى الكنيسة الشرقية يصبح شرعة تجب مراعاتها . وما زلنا حتى اليوم نجدها فى الكنائس الشرقية سواء كانت بيزنطية أو سريانيه أو قبطية أو ارمنية . والفرق البسيط الذى يوجد بين هذه الكنائس ان البيزنطيين يستخدمون الاكليل بينما يتميز السريان وآخرون بالتاج .

ولفظ (تاج) هو فى السريانية (كليلا) وتستخدم الكنيسة القبطية هذه الكلمة للتعبير عن كل ما يتصل بطقوس الزواج . فلفظ (كلل) يعني به اليوم القيام بالطقوس الدينية للزواج فاللفظ قد خرج من معناه الاصلى الذى وضع له اعنى (تاج) واصبح يستخدم فى اقامة الطقوس الدينية للنكاح .

ولم تقتصر هذه العادة على العرب المسيحيين بل ظلت منتشرة بين المسلمين انتشارها بين الوثنيين ففى مصر مثلا نستطيع تتبع هذه العادة فى كثير من كتب السير والآداب الشعبية مثل سيرة الظاهر بيبرس كما نجد فى القرن الثامن عشر معجما لغويا عربيا يسمى بهذا الاسم اعنى (تاج العروس) .

وعن العرب والشرق العربى انتقلت هذه العادة الى الغرب ، فقد جاء فى رسالة للبابا (نيكولوس الاول) وقد ارسلها عام ٨٦٦م الى مسيحيى بلغاريا ردا على فتوى طلبت منه خاصة باستخدام التاج فى طقوس الزواج فاجاب بالايجاب .

هذه صورة صادقة للحياة الأدبية العربية الشعبية لا فى اقليم بعينه أو زمن دون غيره لأن الغزل ميثاق الانسانية فى شبابها وبخور السعادة الزوجية فى عنفوانها . وهذه منحة عربية أخرى .

د . فؤاد حسنين على

عام جديد

للشاعر: ألفرد تينسون

ترجمة الدكتور: محمد أحمد الغمراوى

هذه القطعة من مختارات كتاب بلجريف « الخزانة الذهبية لخير الأشعار الغنائية فى اللغة الانجليزية » طبعة عام ١٩٢٨ . وهى ، كما يدل عليه عنوانها فى الكتاب ، مقطوعة من مطالعه خير واطول قصائد اكبر شعراء الانجليزية فى القرن التاسع عشر لورد تنيسون : قصيدة « للذكرى » ذكرى وفاة صديق الشاعر الحميم ارثر هلم ، التى نشرها الشاعر لاول مرة عام ١٨٥٠ غفلا من اسمه وهو فى العام الواحد والاربعين من عمره فلاقت من تقدير النقاد واقبال القراء ما دعا الى اعادة نشرها عدة مرات وبيع منها فى اشهر قليلة ما بلغ ستين الف نسخة . وكانت لطولها قد طبعت كتابا مستقلا اذ يبلغ عدد ابياتها نحو خمسمائة والفى بيت فى مائة وثلاثين مقطوعة وخاتمة ، كلها من وزن واحد فى رباعيات بديعة انيقة فى اللفظ والنظم والتعبير.

اما الترجمة فلا تخلو من تصرف لا يخل بروح الاصل دعت اليه الترجمة الشعرية اذ يرى المترجم ان الشعر ينبغى الا يترجم الا شعرا .

أيا نواقيس لها وحشة   دقى لجو موحش عربيد
دقى لسحب طائرات بدت   دقى لضوء الثلج فوق الصعيد
وعامنا يلفظ انفاسه   فى ليلة ذات ظلام شديد
فيا نواقيس لها وحشة   العام يقضى فاتركيه يبيد
دقى وداعا للذى قد مضى   ورحبى من بعده بالجديد
دقى ففى دقك بشرى لنا   وارسلى دقك عبر الجليد
العام يقضى فاتركيه ولا   تستوقفيه فى الرحيل البعيد
دقى طرادا للكذوب الذى   كان ، واهلا بالصدوق الوئيد
دقى طرادا الاسى يكسف البـ   ـال حدادا على الحبيب الفقيد
والحزازات وآثارها   بين غنى وفقير عميد
ورحبى بالود بين الورى   والعدل والانصاف حتى يزيد
دقى طرادا للمبادى التى   تموت فى بطء كخصم عنيد
وللخصومات التى افسدت   حياة احزاب فضاعت جهود
ورحبى بالنبل فى عيشنا   فاننا نحتاج منه المزيد
وطاردى الحاجة من بيننا   والهم والاثم ونقض العهود
دقى طرادا للذى احزن الشعـ   ـراء فى شعرى الحزين النكيد
ورحبى دقا بكل الذى   يوحى الى الشاعر خير القصيد
وطاردى الحقد وقدح الذى   يقدح فى الند الامر يريد
ورحبى بالحب حب الهدى   والحق صرفا ليس عنه محيد
وحب فعل الخير نبغى به   نفعا يعم الناس رغم الحدود
دقى طرادا للوباء الذى   يأتى من الماضى كثر الوفود
دقى طرادا للفساد الذى   يأتى به الحرص وحب النقود
دقى طرادا للحروب التى   تأتى تباعا من قديم العهود
ورحبى دقا بعهد نرى   فيه السلام الحق دوما يسود
ورحبى بالعهد عهد الذى   يحيا بقلب الحر قلب الأسود
بالقلب لا يطوى على خسة   ولا يكف الكف عن ان تجود
وطاردى الظلمة من ارضنا   ورحبى بالنور حتى يعود

ياسين وبهية

تأليف: نجيب سرور وإخراج: كرم مطاوع

بقلم الدكتور: محمد مندور

هناك قصة شعبية معروفة عن الشاب الريفى ياسين وخطيبته الريفية الحسناء بهية وفجيعتها فى خطيبها فى ظروف غامضة لم يستطع الخيال الشعبى أن يتبينها بدليل تساؤل راوى هذه القصة عمن قتل ياسين فى قوله الشائع « يا بهية وخبرينى على جتل ياسين » وتناول الشاب نجيب سرور هذه القصة وكتبها من جديد فى قصيدة شعرية قصصية مطولة وطوعها لفلسفة حياتنا الاشتراكية الجديدة فحدد قاتل ياسين بأذناب الباشا الاقطاعى الذى كان يسيطر على قرية ياسين كلها ويستغل جهد فلاحيها ويحرمهم من ثمرته، ومن تبدو منهم أية مقاومة أو تمرد يأمر فيلقى به فى جب يموت فيه · وكانت الطامة الكبرى التى أثارت الفتى ياسين ضد هذا الباشا المستغل الظالم وأذنابه هى محاولة ادخال خطيبته وحبيبته بهية الى القصر لتعمل خادمة حيث كان يعلم ياسين المصير الذى ينتظرها وهو هتك عرضها وطردها بعارها ، وقد حملت هذا العار فى بطنها . فثار ياسين وأثار أهل القرية أجمعين وقادهم فى حركة تمرد عاتية ليحرقوا قصر الباشا ، ولكن ياسين يلقى حتفه برصاصة من أذناب هذا الباشا اللعين ، كما حدد شاعرنا الشاب مكان هذه المأساة فى قرية بهوت · ولم يكتب نجيب سرور هذه القصيدة بالعامية كروايتها الشعبية المعروفة ، بل كتبها بالفصحى الشعرية المنفعلة ، وان لم يتحرج من أن يؤثر أحيانا اللفظة أو التركيب العامى على الفصيح عندما يحس فى تدفقه التلقائى أن العامية أقدر على التعبير عما يجيش فى نفسه أو على الأصح يتفجر فى قلبه من انفعالات ثورية عنيفة ، ومع ذلك فان المزاوجة بين العامية والفصحى فى هذه القصيدة الثورية الطويلة لايستلفت انتباهنا بقدر مايستلفته قدرة الشاب الآخر المخرج **كرم مطاوع** الذى استطاع أن يخرج هذه القصة الشعرية فى صورة درامية نستطيع أن نؤكد أنها بلغت ذروة النجاح اذا كان مقياس النجاح أو عدمه هو تحقيق هدف المؤلف والتأثير فى الجمهور تأثيرا قويا عميقا · ومن المؤكد أن كرم مطاوع قد أتى فى اخراجه لهذه القصة الشعرية بما يشبه المعجزة الفنية · فالقصيدة فى أصلها قصصية لا تتضمن حوارا ولا مشاهد ولا ديكورات ومع كل ذلك استطاع المخرج أن يعطيها جميع المقومات الدرامية من ديكور الى شخصيات الى حوار الى مواقف أوحى بها وان لم يعرضها فعلا على خشبة المسرح ، وذلك بأن قام بتقطيع هذه القصيدة الطويلة وتوزيعها على الممثلين الذين قاموا بدور ياسين وبهية وأبيها وأمها وعم ياسين الذى تبناه بعد موت أبيه · كما كون المخرج كورسين أى مجموعتين احداهما تمثل فلاحى القرية وما يتهامسون به عن ظلم الباشا الاقطاعى واستغلاله وغدره ، وجماعة أخرى يقوم رئيسها بدور الراوية للقصة ويردد أفرادها بعض فقرات هذه القصة المثيرة كتعليق للشاعر المؤلف على بشاعة تلك الاحداث ودلالتها الانسانية والاجتماعية المثيرة · وما من شك فى أن قدرة المخرج الواعى على فهم هذا النص الشعرى العنيف وتشرب روحه وتمثل مضمونه الثورى العميق قد كان له فضل كبير فى نجاح هذه التجربة الجديدة الفريدة فيما يمكن أن نسميه حقا بالمسرح الشعبى الشعرى وعلى أساس من هذا الفهم الصحيح للنص استطاع المخرج أن يختار الممثلين القادرين حقا على هذا الفهم والانفعال به وأدائه على النحو الناجح المؤثر وبخاصة ممثلنا القدير محمد الطوخى الراوية ورئيس جوقة الرواية والتعليق . فقد كانت هذه الجوقة بالذات

رائعة فى ادائها الشعرى لهذه القصة وتنغيم مقاطعها المختلفة بالنغمات الملائمة الصادقة التعبير فى غير مبالغة ولا تهافت ٠

وبفضل هذا الاخـراج والاداء الرائعين الجديدين استطاع القصص الجيد النص والجيد الاداء تعويض الجمهور عن المشاهدة الفعلية للاحداث العديدة التى تسردها القصـــة ، ومن الواجـب أن نلاحـظ أن الاستعاضة بالقصص الشعرى القوى المؤثر عن المشاهدة الفعلية لمشاهد القسوة والعنف مبدأ فنى قديم استند اليه عمالقة الدراما الكلاسيكية أنفسهم، وفى مقدمتهم شـاعر التراجيـديا الكلاسيكى الكبير راسين ، الذى آثر قصص الأحداث العنيفة الدامية فى عـدد من تراجيدياته على عـرض تلك المشـاهد البشعة على الجمهور مطمئنا الى قدرته الشعرية الخارقة على أن يثير الجمهور بقصصه أكثر مما يمكن أن تثيره المشاهد الفعلية لتلك الأحداث ٠ وأستطيع أن أضرب لذلك مثلا بمشهد شهير فى احدى روائع راسين وهى تراجيديا « فيدر » التى تقص قصة « فيدر » عندما اتهمت ابن زوجها هيبوليت بأنه قد هم بها أثناء غياب أبيه فى الحرب ولكن الابن عف عن هذا الاثم ، فاغتاظـت « فيدر » ، ودسـت له عنـد أبيـه بعد أن عاد من الحرب وادعت أن هذا الابن البار هو الذى راودها عن نفسها وهى التى تأبت عليه فغضب الاب واستنزل غضب الآلهـة على ابنـه واستجابت الآلهة لندائه فحملت خيل هيبوليت على أن تجمع به وهو خارج فوق عربته للصيد ، وكان جموحهـا من العنف بحيث ألقت الشاب من فوق العربة ومزقته اربا اربا ، ولـكن راسين لم يعرض مثل هذا المشهد البشع على خشبة المسرح مع أنه من الثابت تاريخيا أن المسرح الكلاسيكى كان يملك من الامكانيات ما يستطيع أن يخرج به مثل هذا المشهد، غير أن الشاعر العظيم هو الذى آثر القصص عـلى المشاهدة وذلك بأن جعل تابعـا لهيبوليت يحضر مأساة هذا المشهد ثم يعود ليقص على الجمهور وصف تلك الفاجعة المؤثرة المؤلمة ٠ ويكاد النقاد يجمعون على أن «راسين» قد حقق فى هذه اللوحة التى صورها بالشعر عندما قص هذه الفاجعة ـ أكثر ممـا كان يستطيع أن يحققه تمثيل المشهد فعلا امام الجمهور على نحو ما فعـل بعد ذلك الرومانسيون وكتاب الميلودراما الحسيون السطحيون عندما آثروا عرض مثل هذه المشاهدالبشعة المقززة على الاكتفاء بقصصها وتصويرها باللفظ الشعرى ، لا بالحس المشاهد،وانا أقرر هذا المبدأ الكلاسيكى وأضرب له مثلا لأوضح لمن قد يعترضون على المحاولة الجبارة التى نجح فيهـا مسرحنا الشعبى الهادف أنه لا ضير من ادخال العنصر القصصى على الدراما الشعبية ما دام هذا العنصر قد اكتسب من قوة صياغته وقوة أدائه ما يستطيع أن ينفث الحركة والحياة فى نفوس المشاهدين بجذبهم اليه والاستحواذعلى انتباههم واثارةالانفعالات العميقة فى نفوسهم ، واذا كان الامر أمر مبادىء وأصول فنية تقليدية فانه من الواجب أن نذكر دائمـا أن هذه الأصول والمبادىء الفنية التقليدية ليست غاية فى ذاتها ، بل هى مجرد وسائل يستخدمها الكاتب شاعرا كان أم ناثرا فى تحقيق هدفه وابلاغ رسالته الى الجمهور ، وعلى هذا الاساس نستطيع أن نغتبط بنجاح هذه التجربة الرائدة وان نعتز بشـاعرنا الشـاب ، ومخرجنـا الشـاب وممثلينا الأفذاذ القادرين ٠

دكتور محمد مندور



مقومات القصة القصيرة

(٢) بقلم : الدكتورة لطيفة الزيات

حاولت في مقالي السابق في هذا المكان ان احدد مقومات القصة القصيرة بردها الى منابعها الاولى ، وبتبين ما جد على الحكاية بحيث أصبحت قصة قصيرة لا ذلك الشكل الفنى الذى تنفرد به دون ألوان الادب جميعا، اعتقادا مني أن تحديد المقومات التى جدت على الحكاية ونأت بها عن طابعها التقليدي الى طابع القصة القصيرة انما هو تحديد لمقومات القصة القصيرة . واشرت في ذلك المقال الى كاتبين أسهما فى أولى محاولات القصة القصيرة ، أحدهما روسى وهو جوجول والثانى أمريكي وهو « ادجار آلان بو » وبينت الاضافة التى أسهم بها « جوجول » فى خلق القصة القصيرة انما هى اضافة الى موضوع القصة أكثر منها الى شكلها ، وان كانت الاضافة الى الموضوع تطلبت بالضرورة تغيرا فى الشكل . وأشرت الى أن القصة القصيرة قد اسقطت في مجموعها موضوع « بو » الذى تمسك بمعالجة الغريب بدلا من العادى فى قصصه ، وان كانت قد تاثرت الى حد كبير بالشكل الذى أبدعه « بو » للقصة القصيرة .

***

وتوقفت عند جوجول ، وافردت المقال لتبيان الاضافة التى اسهم بها فى نشأة القصة القصيرة كما نعرفها اليوم . والى جوجول أرجعت الفضل فى ميلاد القصة القصيرة متحررة من بقايا الرومانسية التى تتمثل فى الاعتماد على الغريب فى الموضوع ، وعلى المذوق المتمق الرنان فى اللغة ، وعلى الوعظ والارشاد والدروس الاخلاقية والفلسفية بانواعها . فجوجول هو الذى كتب البقاء للقصة القصيرة كشكل فنى مستقل ، حين ربطها بالحياة اليومية للانسان العادي ، وحين وجهها الى الاحتفاء بتلك اللحظات العابرة من حياتنا اليومية . وترتب على استخدامه للعادي سلسلة من المقومات تتصل بالطريقة التى يقترب بها الكاتب من مادته ، وباللغة وبالطريقة التى يكتب بها . فالطريقة التى يقترب بها الكاتب من مادته تعتمد على الموضوعية البحتة ، وعلى اتخاذ الكاتب موقف الحياد التام تجاه المادة التى يعالجها، ذلك الحياد الذى يصفه « تشيكوف » أحد بناة القصة القصيرة حين يقول : « ينبغى أن يتوفر للكاتب من الموضوعية ما يتوفر للكيميائى ، ولا بدله من أن يضع جانبا موقفه الذاتى .. وان يدرك أن المشاعر السيئة جزء لايتجزأ من الانسان ، مثلها فى ذلك تماما مثل المشاعر الخيرة » . واللغة التى يكتب بها الكاتب تتسم بالبساطة وتقترب ما أمكن من لغة الحياة اليومية ، والطريقة التى يكتب بها مادته تعتمد على تطوير الحدث من شخصيته أو شخصيات ينبع عنها الحدث المعين بالضرورة والحتمية ، وتقوم على التصوير بدلا من التقرير وعلى الجسم المرئى المحسوس لا المجرد اللامحسوس .

***

وكان هذا هو الدور الذى قام به جوجول فى نشأة القصة القصيرة ، أما الاضافة التى اسهم بها « ادجار آلان بو » فسأفرد لها هذا المقال .

نستطيع أن نقول ان «ادجار آلان بو» هو الذى خلق الشكل أو القالب الفني الذى تتميز به القصة القصيرة اليوم ، كلون أدبى ينفرد بميزاته الخاصة عن بقية ألوان الأدب . وفى قصص « بو » القصيرة نجد بنيانا محكما يكاد يقترب فى دقته من دقة الرياضيات ، بنيانا يصفه بو ذاته حين يقول :

« يتراءى للاديب الفنان تأثير موحد يبغي تحقيقه، وهو يبتدع من الاحداث ويوجد من بينها ما من شأنه أن يساعده على خلق هذا التأثير الموحد الذي تراءى له . ولا ينبغي للكاتب أن يكتب في القصة بأكملها كلمة واحدة تميل ميلا مباشرا أو غير مباشر في اتجاه غير الاتجاه الذي يرمي اليه . وبهذه الطريقة ، وبهذا الحرص ، وبتلك المهارة ، تخرج الى الوجود أخيرا صورة تترك في ذهن من يتأملها الشعور بالرضا التام » ولم يدرك «بو» وهو يكتب هذا الكلام ، وهو يطبق نفس هذه النظرية على قصصه أنه يشرع للقصة القصيرة التي حذت حذوه. والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو : ما هو الجديد في هذا الكلام ؟ ما هي المقومات التي أضافها «ادجار آلان بو » الى شكل القصة القصيرة ؟

***

وأهم هذه المقومات هي وحدة التأثير من البداية الى النهاية بحيث يهدف كل حدث ، وكل تفصيل وكل خط من خطوط الشخصية ، وكل جزء من أجزاء الحوار ، وكل كلمة الى خلق تأثير موحد يزداد عمقا كلما تقدمت القصة القصيرة حتى تستكمل أعماقها بالكلمة الاخيرة . ويترتب على وحدة التأثير هذه عدة مقومات تعرف بها القصة القصيرة اليوم .

اذ يترتب على وحدة التأثير تركيز القصة حول لحظة واحدة لها بداية ووسط ونهاية، لحظة لا نخرج عليها الا لنعود اليها ، ولا نخرج عنها الا بغية اغنائها واستكمال تأثيرها ، لحظة قد نستطرد الى ماضيها أو الى مستقبلها لنعود اليها وقد اكتسبت غنى بهذا الاستطراد. وكان هذا التركيز على اللحظة من بدايتها الى نهايتها يؤذن بانتهاء الحكاية التي تحكي قصة الانسان من يوم مولده الى يوم زواجه أو وفاته ، وبالانتقال الى القصة القصيرة التي تركز على لحظة واحدة من لحظات حياة الانسان ، وتمسك بها وتعمقها في مجرى واحد ، مكتشفة خلال هذا التعميق كل معانيها وكل أبعادها وكل قيمها ، ومحيلة اياها بذلك الاكتشاف الى شعر .

***

ويترتب على وحدة التأثير هذه ما يعرف اليوم باسم «الجو» الموحد الذي يمسك بالقارىء منذ اللحظة الأولى ، ويدفع به في اتجاه واحد لا يفلت منه حتى النهاية ، ذلك «الجو» الذي أصبح اليوم سمة من السمات المميزة لكل قصة قصيرة . وخلق الجو الموحد في القصة القصيرة يقتضي من الكاتب القدرة على الاستبعاد والقدرة على الاختيار، استبعاد ماليس له علاقة مباشرة بخط التطور ، وبالتأثير الموحد المطلوب ايصاله للقارىء ، واختيار ما من شأنه أن يطور هذا الخط ، ويعمل على توحيده، وان يوحي للقارىء بهذا الاثر . فالشخصية مثلا ،لاترسم متكاملة في القصة القصيرة كما ترسم في الرواية ، بل تستبعد منها محل الخطوط التي لاعلاقة مباشرة لها بالحدث ، ويختار من بين هذه الخطوط ما من شأنه أن يوحي بالتأثير المطلوب . وينطبق ذلك أكثر ما ينطبق على الوصف الذي ينبغي أن نستبعد منه في القصة القصيرة ما لا يقوم بوظيفة فعاله ، وينبغي أن نختار منه ما يوحي ، بحيث تنطبع المرئيات بالحالة الشعورية العامة التي تسود القصة ، وبحيث تجسم هذه الحالة ، وتصبح بهذا الانطباع والتجسيم ذات فاعلية في خلق جوالقصة المطلوب . فلا شيء من القصة القصيرة يطلب لذاته ، وانما ينبغي أن يطلب بمدى ما يطور اللحظة المعينة التي تعرض لها القصة ، وبمدى ما يسبغ عليها من وحدة التأثير من البداية الى النهاية ..

وأضفت نظرية (بو) وتطبيقه لهذه النظرية على القصة القصيرة احدى مقوماتها الاخرى التي تنفرد بها عن الحكاية . فبينما تقوم الحكاية على السرد ، تقوم القصة على التصوير أوالتجسيم .فكاتب القصة القصيرة لا يقرر ما يحدث ، بل يترك الحدث يتفتح أمامنا بالتدريج ، يكشف عن نفسه بنفسه كما يحدث في منظر من مناظر المسرحية . وقد اندرج ذلك الطابع الدرامي في القصة القصيرة بحيث أصبح صفة مميزة من صفاتها ، صفة ترتبط أشد الارتباط بوحدة التأثير المطلوبة . وتطوير الحدث تطويرا دراميا مباشرا أمام القارىء دون تدخل من الكاتب يقتضي بالضرورة انطواء الحدث على صراع ينبع من الموقف الذي تبدا به القصة ، وينعقد في الوسط ، وينحل في النهاية التي تجمع بين كل الخطوط تمهيدا لحلها في لحظة التنوير النهائية ، تلك اللحظة التي تضفي المعنى على كل كلمة من كلمات القصة .

ولم تكتسب القصة القصيرة من الدراما احدى ميزاتها فحسب ، بل سلبت الشعر أيضا احدى

ميزاته . ويمكن أن نقول أن هذه الميزة هي (التوتر) الذي يختص به الشعر دون غيره من فنون الادب . والقصيدة الشعرية تنبض بالتوتر الفني نتيجة لوحدة التأثير فيها أولا ، ونتيجة للاقتصاد الشديد في استخدام الالفاظ ولاختيارها اختيارا دقيقا ، وللنظام المعين الذى تنتظم فيه بحيث تتعارض كلمة موحية من كلمة موحية ، وبحيث توحي الكلمات المحذوفة بقدر ما توحي به الكلمات المستخدمة وبحيث تندرج جميع الايحاءات في نسيج يوحي باكثر مما توحي به أجزاء النسيج مجتمعة ، وبحيث تتوتر القصيدة نتيجة لكل هذا بالمفارقة وبمستويات متباينة من المعنى .

ومن الشعر استمد «ادجار آلان بو» وهو الشاعر القدير ، هذه الخاصية ، واضافها الى القصة لتصبح سمة من سماتها المميزة . ووجدت صفة التوتر الفني هذه في القصة القصيرة القالب الممهد لاستقبالها ولتطويرها . فوحدة التأثير متوفرة في القصة القصيرة أو ينبغي أن تتوفر لها بقدر ماتتوفر في القصيدة الشعرية . والاقتصاد الشديد والتركيز في استخدام الالفاظ ، وترتيب هذه الالفاظ بحيث تجرى في مجرى واحد وتصب في مصب واحد . عناصر تتوفر في كل من القصة القصيرة والشعر . ومن ثم فتربة القصة القصيرة هي تربة الشعر، وان كانت الاولى تتميز بامكانيات للتوتر الفني لا تتوفر عادة في الثانية ، فبينما لا يتحتم أن تقوم القصيدة الشعرية على بناء يتضمن التوتر . يتحتم أن تقوم القصة القصيرة على مثل هذا البناء ، اذ أن الحدث الذي يتفتح أمام أعيننا دون تدخل من الكاتب يتطلب وجود صراع ، والصراع بالضرورة يتضمن عنصر التوتر . ومن ثم فنحن نتطلب من القصة القصيرة أكثر مما نتطلبه من الشعر . نتطلب منها توترا في البنيان ، وتوترا في النسيج ، والتوتر في البنيان يعنى بالطبع التوتر في النسيج والعكس صحيح . والمفارقة التى تصحب عادة هذا التوتر تصدر في هذه الحالة عن البنيان والنسيج معا .

وحين يبلغ هذا التوتر المبنى على التركيز والحذف، على بلورة الالفاظ والمعانى ، على المفارقة في البنيان والنسيج ، على تباين مستوى المعانى ، حين يبلغ كل هذا قمته في القصة القصيرة نخرج منها بنفس الاحساس الشاعرى الذى نخرج به من قصيدة شعرية عظيمة . فالقصيدة الشعرية العظيمة ، كما اثبت النقد الحديث ، تقوم بدورها على التوتر في البنيان والنسيج ، فرغم أن التوتر في البنيان ليس حتميا في الشعر ، فما من قصيدة عظيمة الا توفرفي بنائها هذا التوتر .

ومن ثم فان القصة القصيرة العظيمة تغنينا بقدر ما يغنينا الشعر العظيم .

« د . لطيفة الزيات »

تاريخنا فى أيد غير أمينة

بقلم : رجاء النقاش

عندما بدأ الاستعمار الغربى غزوه الواسع لآسيا وافريقيا ، لم يكن يفكر فقط بعقلية اقتصادية أو عقلية عسكرية ، ولكنه فكر أيضا بعقلية علمية . لقد عرف الغرب منذ البداية قيمة العلم . بل جعل من العلماء كتيبة تقف فى طليعة الغزو الكبير ، وتسبقه وتمهد له . ويكفى أن نتذكر العدد الضخم من العلماء الذين اندمجوا وسط الشعوب المختلفة يدرسون لغاتها وعاداتها وبيئتها الجغرافية وتاريخها حتى نعرف خطورة هذه الحرب العلمية .

فعندما جاء نابليون الى مصر ، فاتحا وغازيا ، صحب معه الى جانب قواده وضباطه وجنوده عددا كبيرا جدا من العلماء فى مختلف فروع العلم . ويحدثنا المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى عن هذه الكتيبة العلمية التى صحبت الحملة الفرنسية فيقول فى الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية :

« اصطحب نابليون معه طائفة من علماء فرنسا ونوابغها فى الرياضة والهندسة والطب والجغرافيا والفلك والأدب والكيمياء والاقتصاد السياسى والآثار والمعادن وطبقات الأرض والحيوان والنبات وفن المعمار وهندسة الرى والقناطر والجسور والميكانيكا ، وطائفة من رجال الفنون من المصورين والرسامين والموسيقيين والنقاشين والمثالين ، فبلغ عدد هؤلاء ١٤٦ عضوا ما بين عالم وأديب ومهندس ومثال تتألف منهم لجنة العلوم والفنون التى كان لها شأن يذكر فى تاريخ الحملة الفرنسية ، وقد جهزهم نابليون بمجموعة كاملة من الآلات الطبيعية والرياضية ، وكان من بينهم جماعة من أقطاب العلوم ممن يشار اليهم بالبنان فى فرنسا ، أمثال مونج العالم الرياضى ، وبورتلييه العالم الكيميائى وغيرهم » ... وينقل الرافعى بعد ذلك رأيا لمؤرخ فرنسى يقول فيه : « ان نوابغ فرنسا فى الحروب والعلوم والفنون قد صحبوا نابليون فى الحملة على مصر ، وجذبتهم اليها ثقتهم فى قائدهم الفتى العظيم وركبوا البحر دون أن يعرفوا الى أى جهة يقصدون » .

... وهكذا كان نابليون يفكر فيما هو أبعد من الغزو العسكرى ، كان يفكر فى اكتشاف مصر اكتشافا كاملا ، وبذلك يسهل له أن يجعل منها قاعدة للامبراطورية الشرقية التى كان يحلم باقامتها على أن تكون القاهرة عاصمة لها . ولا يمكنه بالطبع أن يقيم قاعدة الامبراطورية « الخيالية » دون أن يكون على فهم كامل ومعرفة شاملة بهذه القاعدة . فالمادة العلمية التى يمكن أن يصل اليها علماء الحملة الفرنسية تستطيع بلا شك أن تمكن نابليون من السيطرة الكاملة على مصر ، ومن استغلالها الى أقصى حد ، حتى يتمكن بعد ذلك من تحقيق الأحلام البعيدة وقد ضمن نقطة ارتكاز ثابتة .

وعقلية نابليون هى مثل أعلى للعقلية الاستعمارية الغربية فى جميع موجات الغزو التى سبقت الحملة الفرنسية والتى تلتها . لقد كان الاستعمار باستمرار يعتمد على بعض العلماء ويجندهم فى سبيل خدمته . واذا عدنا الى أكبر موجة استعمارية ناجحة ضد مصر وهى التى تمثلت فى الغزو الانجليزى لمصر سنة ١٨٨٢ ، فاننا نجد من بين أسماء الانجليز الذين أسهموا فى عملية احتلال مصر مساهمة كبيرة اسم المستشرق **بالمر** . ان هذا الاسم لا بد أن يذكر دائما فى أى كتاب عن تاريخ الاحتلال الانجليزى لمصر . فقد قام هذا المستشرق بمحاولة جذب البدو فى سيناء الى صف الانجليز ودفعهم الى خيانة الجيوش المصرية العرابية . ولبس **بالمر** ملابس البدو ، وحمل معه كميات ضخمة من المال ليوزعها على هؤلاء البدو ، مستعينا فى هذه العملية بمعرفته الدقيقة باللغة العربية ، وبدراسته العلمية الواسعة لمنطقة سيناء . وقد لقى **بالمر** مصرعه أثناء محاولته ، لأن البدو طمعوا فى ماله ، ففضلوا المال على ما كان يتظاهر به من علم غزير وعلى ما كان يقدمه الى هؤلاء البدو من نصائح للانضمام الى الانجليز . ونستطيع أن نتذكر أيضا فى هذا الميدان الكولونيل « **لورانس** » ، الشهير الذى اندمج بعبقرية نادرة فى عرب الجزيرة ولبس ملابسهم وأكل طعامهم وامتزج بهم كل الامتزاج . كل ذلك فى سبيل أن يكسبهم الى صف الانجليز فى الحرب العالمية الأولى .

وهناك ايضا **جون فيلبى** الذى سمى نفسه باسم الحاج عبد الله فيلبى ولعب دورا كبيرا فى السياسة العربية حتى قيام الحرب الثانية .

هذه مجرد نماذج من الذين اشتركوا ـ بتجاربهم ودراستهم الواسعة ـ فى مساعدة الاستعمار الغربى على تنفيذ أهدافه ، وقدموا له أعظم الخدمات ، وبدون هؤلاء العلماء فان الاستعمار الغربى ولا شك كان سيجد صعوبة كبيرة فى تحقيق كثير من اهدافه .

ومحاولات الاستعمار الغربى مستمرة منذ وقت طويل للاستفادة بهذه الدراسات الواسعة لكل بلد تريد أن تسيطر عليه ، وتريد ان تحافظ على نفوذها فيه .

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو فى مصر ، وبدأت صفحة الاستعمار الانجليزى تنطوى من بلادنا ، وتنطوى معها نهائيا قصة النفوذ الغربى فى مصر .. فى هذه المرحلة الجديدة الأصيلة من تاريخنا ، لم يتخلص الاستعمار الغربى من محاولته المستمرة لدراسة التاريخ المصرى ، والواقع المصرى ، بل على العكس زادت الدراسات الغربية عن مصر بعد قيام الثورة . ومن الضرورى أن نعترف أن بعض هذه الدراسات انما يقوم لوجه العلم فقط ، ففى الغرب ولا شك علماء مخلصون يريدون أن يفهموا ـ بحافز علمى أصيل ـ جميع التطورات التى حدثت فى بلادنا ، على اعتبار ان هذه التطورات جزء من حقائق العالم المعاصر ... وجزء هام له قيمته .

هذه حقيقة يجب أن نعترف بها . ولكن الى جانب هذه المدرسة المخلصة للعلم بين الغربيين ، توجد مدرسة أخرى أخطر وأوسع نفوذا ... هذه المدرسة هى مدرسة « بالمر وفيلبى » وغيرهما من المستشرقين وهى المدرسة التى ترتبط ارتباطا اساسيا بمصالح الاستعمار الغربى وأطماعه فى بلادنا . وهذه المدرسة تجمع حولها عددا كبيرا جدا من علماء العالم وتستخدمهم وتيسر لهم ظروف الدراسة وتقف وراءهم الى أقصى الحدود .

ومن هذه المحاولات الاستعمارية الواسعة التى تأخذ شكلا علميا ذلك المؤتمر الذى دعت الى عقده فى لندن مدرسة الدراسات الافريقية والآسيوية فى جامعة لندن . وموضوع المؤتمر هو تاريخ مصر الحديث . وسوف يعقد هذا المؤتمر فى الفترة مابين ٩ و ٨ ابريل سنة ١٩٦٥ .

وقبل أن أتحدث عن هذا المؤتمر أود أن أعود الى سرد بعض الحقائق حول المواقف المختلفة من تاريخ مصر الحديث . فلقد ظهرت اتجاهات عديدة لكتابة هذا التاريخ ابتداء من القرن الماضى حتى اليوم . وكان كل اتجاه من هذه الاتجاهات يتحرك بوحى فكرة معينة . وهناك مثلان واضحان فى هذا الميدان .

اما المثل الاول : فقد ظهر خلال محاولة الغربيين ان يؤكدوا انفصال مصر نهائيا عن الوطن العربى وعن الامة العربية ، وكانت لهم فى ذلك وسائل عديدة ، وكان من بينها خلق جيل من المصريين متعصب للفرعونية مؤمن بها اشد الايمان . ولايمكن بالطبع أن يعارض أى ذهن عربى مستنير مسألة اهتمام المصريين سواء كانوا مواطنين عاديين أو علماء باحثين بالتراث الفرعونى العظيم ، وبالحضارة الفرعونية المزدهرة ، فتاريخنا الفرعونى القديم هو جزء ثمين من تراثنا لا يمكن أن نتنكر له أو نتبرأ منه أو نرفضه . ولكن الخلاف كل الخلاف بيننا وبين أعدائنا فى الفكر والحياة هو طريقة « توظيف » هذا التراث . فهناك من يريدون للتراث الفرعونى ان يعود الى الحياة بهدف واحد هو تعميق الملامح الذاتية للمصريين وفصلهم نهائيا عن الامة العربية .

هذه هى الوظيفة التى نرفضها للتراث الفرعونى . أما وظيفته الحقيقية فى نظرنا فهى تعميق الاحساس باننا شعب له حضارة ، وقادر على صنع الحضارة كما حدث فى يوم من الأيام وفى عصر من عصور التاريخ . بل اننا وقد أصبحنا جزءا من الأمة العربية انما نجد فى هذا التراث الفرعونى العظيم تراثا للأمة العربية كلها تعتز به وتستند اليه فى نهضتها الجديدة ضمن ما تستند اليه من ألوان التراث الأخرى .

وفى سنة ١٩٢٦ ظهرت محاولة من المحاولات الغربية للاهتمام بتاريخ الفراعنة بهذا الدافع الذى أشرت اليه ... دافع فصل المصريين عن العرب تماما .

ويحدثنا الدكتور محمد حسين فى الجزء الأول من كتابه عن « الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر » فيقول صفحة ١٢٦ :

« ان الثرى الأمريكى روكفلر وابن روكفلر الكبير ، صاحب الملايين ، قد اعلن سنة ١٩٢٦ عن تبرعه بعشرة ملايين ريال امريكى (وهو مبلغ كان يعادل مليونين من الجنيهات المصرية

وفتداك) لانشاء متحف للآثار الفرعونية في مصر ، يلحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن . واشترط لمنح هذه الهبة ان يوضع المتحف والمعهد تحت اشراف لجنة مكونة من ثمانية اعضاء ليس فيها الا عضوان مصريان فقط ، على ان تظل هذه اللجنة هي المسئولة عن ادارة المتحف والمعهد لمدة ثلاث وثلاثين سنة . وقد استرد الثرى الامريكي هبته وفتداك ، بعد ان ارسل مندوبا يمثله من علماء الآثار الامريكيين المعروفين وقتئذ — وهو الاستاذ برستد — ومعه احد محاميه ، وذلك لرفض الحكومة شرط اشراف الاجانب الفنى على المعهد . وقد كان واضحا من تحديد صاحب الملايين مدة الاشراف بثلاث وثلاثين سنة انه يهدف الى خلق جيل من المتعصبين للفرعونية ثقافيا وسياسيا » .

هذا هو المثل الأول الذى يثبت لنا أن هناك دائما فكرة موجهة رئيسية وراء أى محاولة لاعادة كتابة تاريخ مصر ... وهذه الفكرة فى هذا المثل هى كما أشار الدكتور محمد حسين خلق التعصب الثقافى السياسى للفرعونية فى مواجهة الايمان بالعروبة ثقافيا وسياسيا عند المصريين .

أما المثل الثانى فى هذا الميدان فهو محاولة الملك فؤاد اعادة كتابة تاريخ مصر الحديث عن طريق عدد من العلماء الغربيين والمصريين . وكان الهدف من هذه المحاولة هو خلق تيار تاريخى يدافع عن أسرة محمد على ويثبت دورها فى خلق مصر الحديثة . وعلى أثر هذه المحاولة التى حركها وتبناها الملك فؤاد صدرت كتب عديدة فى مصر وفى أوروبا ، عن الخديوى اسماعيل والد الملك فؤاد ، وعن غيره من حكام أسرة محمد على . وأذكر أننى قرأت كتابا مصريا عن الخديو اسماعيل صدر ضمن هذه الموجة من الكتابات التاريخية ، وفى هذا الكتاب يبرر المؤلف كل تصرفات الخديوى التى أدانه عليها كل النقاد التاريخيين ، مثل القروض الكثيرة ، وبناء القصور ، والاغراق فى الترف ، ونحو ذلك مما أدى الى أزمة كبرى فى مصر انتهت بخلع الخديوى اسماعيل نفسه ، الذى خرج وقد أخذ لنفسه من الخزانة ١٥ مليونا من الجنيهات ... ومصر فى ذلك الوقت كانت فى أزمة اقتصادية مريرة . ومع ذلك لم يفكر اسماعيل فى مصر وانما فكر فى نفسه . وأذكر أن مؤلف هذا الكتاب قدم تفسيرا غريبا لمجاعة حدثت بين الجند فى عهد الخديوى اسماعيل فقال ما معناه : ان هذه المجاعة كانت مقصودة من جانب الخديوى لكى يتعلم الجنود الصبر والاحتمال . والكتاب ملىء بمثل هذه التبريرات العجيبة لأخطاء عصر اسماعيل الفادحة .

وقد فاز هذا الكتاب بجائزة رصدتها الدولة فى عهد الملك فؤاد للمؤلفات التاريخية ، وتمت طباعته أيضا على حساب الدولة .

هذان المثلان يكشفان لنا عن أن أى محاولة لاعادة كتابة تاريخ مصر أو لاعادة النظر فى هذا التاريخ انما تقوم عادة لخدمة فكرة معينة .

وهذا هو ما ينطبق على المحاولة الجديدة التى تقوم بها جامعة لندن فى المؤتمر الذى تنوى أن تعقده فى ابريل للنظر فى تاريخ مصر الحديث .

وقد تحدثت حول هذا المؤتمر مع بعض علمائنا العرب وخرجت من هذه المناقشات ببعض الحقائق الهامة التى يجب أن تكون واضحة أمام الرأى العام العربى وأمام الهيئات العلمية المختلفة فى بلادنا ، حتى يكون لنا موقف سليم محدد فى هذه القضية الهامة .

ومن الحقائق الهامة فى هذا الميدان أن المدرسة التى دعت الى المؤتمر وهى مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن قد أسست فى أواخر القرن التاسع عشر خلال موجة الاستعمار الغربى ضد افريقيا وآسيا . وكانت هذه المدرسة تابعة فى بدايتها لوزارة الخارجية البريطانية . وكان الهدف من انشائها هو أن تكون مدرسة للمخابرات البريطانية بحيث تم العمل الذى تقوم به هذه المخابرات على أساس علمى . ومن أشهر أساتذة هذه المدرسة المستشرق «بوين» وهو مؤلف كتاب مشهور عن « المجتمع الاسلامى فى القرن الثامن عشر » وكان «بوين» يقول بصراحة انه يعمل فى المخابرات البريطانية ، وحتى اليوم ما زالت علاقة هذه المدرسة بوزارة الخارجية البريطانية وثيقة ، رغم أنها من الناحية الشكلية تابعة لجامعة لندن .

ويقف « برنارد لويس » رئيس قسم التاريخ فى هذه المدرسة وراء المؤتمر الذى سينعقد فى ابريل القادم لدراسة التاريخ المصرى الحديث . وبرنارد لويس يعتبر من أشد العلماء الغربيين مناصرة للصهيونية . ولذلك فانه حرص على أن يخفى دوره فى هذا المؤتمر ، ودفع مساعده «بيتر هولت» الى أن يتصدى لرياسة المؤتمر ، ويوجه الدعوات باسمه الى العلماء المشتركين فى المؤتمر .

والدول التى دعيت للاشتراك بعلمائها المتخصصين

فى هـذا المؤتمر هى : امريكا وفرنسا وانجلترا واسرائيل ، والجمهورية العربية المتحدة . وقد اتبعت الجمهورية العربية المتحدة سياسة سليمة فى شأن المؤتمرات العلمية التى تشترك فيها اسرائيل وهى انها لا تقاطع هذه المؤتمرات ، كما يحدث فى المؤتمرات السياسية ، بل يشترك علماؤنا فى هذه المؤتمرات العلمية ، ويقفون دائما للتصدى لكل محاولة من جانب اسرائيل لتشويه القضية العربية أوالثقافة العربية .

وفى الوقت الذى حرصت فيه مدرسة الدراسات الشرقية على دعوة اسرائيل للاشتراك فى مؤتمر علمى عن تاريخ مصر ، تجاهلت المدرسة - عن عمد واصرار - دعوة جهات علمية أخرى معروفة باهتمامها الكبير بالتاريخ المصرى . فلم يدع الى هذا المؤتمر على سبيل المثال علماء جامعة نيودلهى فى الهند . وفى هذه الجامعة معهد للدراسات الدولية ، وفى داخل هذا المعهد قسم للشرق الأوسط يهتم أشد الاهتمام بالتاريخ المصرى والتاريخ العربى على وجه العموم ، ومن أساتذة هذا المعهد المعروفين « أشرف أجوانى » وقد نال درجة الدكتوراه فى بحث عن السياسة الأمريكية فى الشرق العربى ، ومساعد الدكتور أشرف هو « **ظهير قريشى** » ، وهو من أكبر المهتمين بالتاريخ المصرى ، وقد نال درجة الدكتوراه فى بحث عن « نشأة وسقوط حزب الوفد المصرى ».

ان هذه المدرسة من علماء الهند المهتمين أشد الاهتمام بالتاريخ المصرى والعربى عموما ، لم تتلق اى دعوة من مؤتمر لندن للاشتراك فى بحث التاريخ المصرى الحديث ، اذ حرصت جامعة لندن على أن يكون المشتركون فى هذا المؤتمر هم العلماء الغربيون وتلاميذهم من علماء اسرائيل . والمدرسة الغربية فى التاريخ المصرى هى التى كتبت تاريخ مصر فى القرن الماضى وأوائل القرن العشرين ، وقد ملأت هذا التاريخ بالأخطاء المتعمدة والتفسيرات الخاطئة ، وبررت هذه المدرسة التاريخية كثيرا من أساليب الاستعمار الغربى ، أما الهنود الذين لم يدعوا الى مؤتمر لندن فانهم يمثلون مدرسة جديدة فى النظر الى التاريخ المصرى . انهم أقرب ما يكونون الى النظرة المصرية العربية نفسها . ويعود ذلك بالطبع الى أنهم لا يرتبطون بمصلحة معادية لمصلحة الشعب فى مصر، وهم فى نفس الوقت أصحاب تجربة متشابهة مع التجربة المصرية ... لقد عانوا من الاستعمار الانجليزى بنفس الدرجة القاسية التى عانينا منها.

لذلك كله لم تفكر مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن فى توجيه الدعوة الى علماء الهند المهتمين بالتاريخ المصرى . كذلك لم توجه الدعوة الى علماء الروس ، رغم أنهم بذلوا مجهودات رائعة فى دراسة التاريخ المصرى ، ورغم أنهم يمثلون مدرسة جديدة بارزة فى ميدان الدراسات المصرية.

وهكذا يبدو أمامنا بوضوح أن هذا المؤتمر لم يقم على نية علمية حسنة ... لقد تعمدت مدرسة الدراسات الشرقية أن توجه الدعوة الى الذين لا يتعاطفون مع التاريخ المصرى ولا مع مصر نفسها ، بينما حرم المتعاطفون مع مصر والتاريخ من الاشتراك فى هذا المؤتمر .

ولكن ما هو الهدف من وراء هذا المؤتمر ؟

الحقيقة أن الغربيين قد أحسوا منذ زمن بحركة علمية كبيرة تجرى فى مصر هى حركة اعادة كتابة لتاريخ وان لم تثمر هذه الحركة عملا كبيرا شاملا حتى الآن ، وبالطبع لم تكن هذه الحركة اجراء مريحا بالنسبة للغربيين الذين تعودوا على أن يكونوا هم أنفسهم مصدرا لتاريخنا ومرجعا أساسيا فيه . اما الآن فقد أوشكت المسألة أن تفلت من أيديهم . ان جيلا جديدا من العلماء المصريين الأكفاء سوف يتناولون التاريخ المصرى من جديد . ويقدمون حوله آثارا علمية لها خطرها وقيمتها ، وسوف تغير هذه الدراسات الجديدة كثيرا من القيم التى بذرها العلماء الغربيون فى الأذهان عن تاريخ مصر .

ولذلك فقد فكرت جامعة لندن فى أن تأخذ المبادرة العلمية ، وتسبق جهود المصريين فى كتابة تاريخ مصر . ولو نجحت هذه المحاولة فسوف تصدر دراسات عديدة جديدة عن التاريخ المصرى تصادر - بكل وضوح - أى محاولة علمية من جانبنا لتصحيح هذا التاريخ .

وفى مقدمة أهداف هذا المؤتمر كذلك أن العلماء الغربيين يريدون أن يعرفوا ماذا يدور فى أذهان علمائنا المصريين حول التاريخ المصرى ، وذلك لفهمه أولا ، وللرد عليه بعد ذلك .

ومن أهداف هذا المؤتمر أيضا « **التشكيك** » فى أسلوب المقاطعة العربية لاسرائيل . ان المقاطعة العربية لاسرائيل مقاطعة شاملة فى ميدان السياسة والاقتصاد . ولكننا كما أشرت فى أول هذا المقال

لا نقاطع المؤتمرات العلمية التي تحضرها اسرائيل . والأوساط العلمية الغربية تريد أن تستغل هذا الموقف لتقول للعالم : ها هم العلماء المصريون يجتمعون مع العلماء الاسرائيليين .. أى أن الاتصال الثقافي بين العرب واسرائيل ممكن . وهم يحاولون الافادة - دعائيا - من هذه النتيجة الى أقصى حد .

ونجد أخيرا أن من أخطر الاهداف لهذا المؤتمر اتخاذ موضوعات التاريخ المصرى مبررا لمناقشة كثير من القضايا السياسية والاقتصادية فى الأوضاع الراهنة للجمهورية العربية . ويظهر هذا الهدف واضحا فى أن المدعوين للمؤتمر ليسوا كلهم من علماء التاريخ ، بل هناك أساتذة فى العلوم الاقتصادية والسياسية . وقد انعكس هذا الاختيار على موضوع البحوث التى ستعرض فى المؤتمر ، حيث تشمل هذه البحوث عددا كبيرا من الموضوعات السياسية والاقتصادية . فمن بين المدعوين الى هذا المؤتمر : العالم السياسى « فاتيكيوتس » وهو من أصل يونانى وله كتاب مشهور عن «الجيش المصرى فى السياسة»، ويحمل الكتاب اتجاهات معادية لنا ، تتميز بعدم الفهم وسوء النية ، فهو يقول فى كتابه ان الثورة المصرية حكم عسكرى وضع حدا للتجربة الديمقراطية فى مصر . مما يدل على أنه لم يفهم الثورة المصرية، كما أنه تجاهل - عن عمد وقصد - حقيقة الديمقراطية المصرية قبل الثورة ، فلقد كانت هذه الديمقراطية - فى وجهها الصحيح - ديكتاتورية للاقطاعيين والرأسماليين ضد الشعب . أما الديمقراطية الصحيحة فلم تعرفها مصر الا بعد الثورة ، فقد بدأت الثورة تجربتها الديمقراطية من النقطة الأساسية التى ينبغى أن تبدأ منها الديمقراطية الصحيحة وهى : المساواة الاقتصادية التى تقوم على أساس سليم من العدل الاجتماعى . والبحث الذى سيقدمه « فاتيكيوتس » الى مؤتمر لندن عنوانه « التطورات الاجتماعية فى مصر منذ انقلاب ١٩٥٢» .. ولا يخفى ما فى تسميته للثورة المصرية باسم الانقلاب من خطأ وسوء نية واضحين .

وهناك نموذج آخر هو : «ناداف سافران» وهو أستاذ فى جامعة هارفارد وصهيونى معروف ، وله كتاب عنوانه « مصر تبحث عن مجتمع سياسى » ، وفى هذا الكتاب يقول : ان ثورة ٢٣ يوليو هى ردة فكرية الى التيار الدينى فى مصر . والكتاب بالطبع لم يفهم الأبعاد التقدمية الحقيقية للثورة المصرية ، وهذا العالم الصهيونى له أيضا كتاب عن «الولايات المتحدة واسرائيل » وفى هذا الكتاب يمجد اسرائيل ويدعو اليها دعوة واضحة . وسوف يقدم «سافران» الى المؤتمر بحثا عن « الفكر السياسى فى مصر بعد ١٩٥٢ حتى الميثاق الوطنى » .

ويمثل اسرائيل فى هذا المؤتمر أستاذان فى الجامعة العبرية هما : جاكوب لانداو وهو مؤلف كتاب « الأحزاب والبرلمانات فى مصر حتى ١٩٥٢ » . وسوف يقدم لانداو الى مؤتمر لندن بحثا عن « التجارب البرلمانية فى مصر بعد ١٩٥٢» أما العالم الاسرائيلى الثانى فى المؤتمر فهو « جبرائيل باير » وله كتاب عن « تاريخ الملكية الزراعية فى مصر حتى عام ١٩٥٢ » وسوف يقدم الى المؤتمر بحثا عن « المسألة الزراعية فى مصر قبل ١٩٥٢ » .

وكل هذه النماذج تؤكد أن المؤتمر سيحاول أن يتحدث بالدرجة الأولى عن الثورة وعصر الثورة فى مصر .

ومن هنا كان واجبنا أن نقبل الدعوة الى هذا المؤتمر ، فانها بمثابة نوع من التحدى ، وان كان هذا التحدى يأخذ شكلا علميا ناعما . وعندما نشترك فى هذا المؤتمر فاننا نقف بعلمائنا فى وجه أى محاولة لتشويه تاريخنا وثورتنا ، خاصة وأن هذه المحاولات تختفى وراء العلم وتحاول أن تظهر بمظهر الحياد الفكرى الذى يجعل منها أشبه بمؤامرة واسعة النطاق لبث الأفكار المختلفة ضدنا فى جامعات العالم كله . لذلك فان من واجبنا أن نتصدى لهذه المحاولة بوسائل علمية، وأن ندخل الميدان بلا تردد، حتى لا يقدم هذا المؤتمر أبحاثه عن مصر دون أن تدور حولها أى مناقشات ، فمن الواجب أن تكون نتائج المؤتمر ودراساته خاضعة لمناقشات علمائنا وتصحيحاتهم وردودهم على كل صغيرة وكبيرة فيها .

لهذا كان من الطبيعى أن نشترك فى المؤتمر ، وقد وجهت الدعوة الى عدد من علمائنا قبل ثلاثة منهم هذه الدعوة بالفعل وهم : الدكتور عبد الحميد البطريق أستاذ التاريخ الحديث بكلية البنات ، والدكتور محمد جمال الدين الشيال أستاذ التاريخ الاسلامى بجامعة الاسكندرية والدكتور محمد أنيس أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة . وستتكفل جامعة لندن بنفقات السفر والاقامة لهؤلاء العلماء .

وهناك مسئوليات عاجلة يجب أن تتحملها الجهات

الرســمية والعلمية عنـدنا بصورة كاملة ، حتى لا يصبح تاريخنا فريسة سهلة في أيد غير أمينة ٠ ولقد أشرت الى بعض هذه المسئوليات التي يجب ان نتحملها ، حماية لتاريخنا وحرصا عليه ، في جريدة الجمهورية اشارة سريعة ، واستأذن القارىء في أن أعيد الحديث عن هذه المسئوليات بشيء من التفصيل٠

وابسط مسئولياتنا امام مؤتمر لندن ان نزيد ـ من جانبنا ـ عدد علمائنا المشتركين في هذا المؤتمر والا نكتفى بهؤلاء العلماء الثلاثة الذين دعتهم جامعة لندن ٠ من واجبنا ان نرسل عددا أكبر من العلماء على أن يقدموا مجموعة شاملة من البحوث عن تاريخ مصر ٠ وبذلك يكون لنا وجـود علمى كبير في هذا المؤتمر يستطيع ان يفرض وجهـة نظره ويدعمهـا بالوثائق العلمية الكافية ٠ ويجب أن تتكفل الدولة نفسهـا بنفقات هؤلاء العلمـاء الذين تختـارهم للاشتراك في هذا المؤتمر ٠٠٠ والذين لم يتلقوا دعوة من جامعة لندن التي اقتصرت على دعوة العلماء الثلاثة الذين أشرنا اليهم ٠

ولقد كان من واجبنا أيضا منذ البداية أن نفكر بأسرع وقت في عقد مؤتمر للمؤرخين العرب ، على أن يعقد هذا المؤتمر في القاهرة ، ويدعى اليه العلماء الاجانب المهتمون بالتاريخ المصرى وخاصة العلماء المتعاطفين مع التـاريخ المصرى والثورة المصرية ٠ وما أكثرهم في شتى أنحاء العالم ٠

ان مؤتمرا مثل هذا المؤتمر سـوف يكون بداية صحيحة لاعادة كتابة تاريخنا من ناحية ، وللاتفاق من ناحية أخرى على الميادين الجديدة والمناهج الجديدة التي يجب أن نعتمـد عليها في اعادة كتـابة هـذا التاريخ ، وسوف يكون مثل هذا المؤتمـر أسـاسا سليما لتصحيح كل الأخطاء التي انتشرت عن عمد او غير عمد ـ في الكتب الغربية عن التاريخ المصرى ٠ ومثل هذا المؤتمر يستطيع أن يكشف أيضـا عن الموضوعات الجديدة التي تستحق الدراسة بالنسبة للتاريخ المصرى حتى لانقف عند الموضوعات التقليدية القديمة ٠ فهناك على سبيل المثال موضوعات نحو : نشأة الاقطاع المصرى ، ونشأة الرأسمالية المصرية ، ونشأة الطبقة العاملة المصرية ،وكل هذه الموضوعات التي لم تبحث من قبل بطريقة علمية جدية يجب أن تبحث وتدرس على أوسع نطاق ٠ ويجب أن نحاول باســتمرار الكشف عن الخصائص الخاصة في هذه القوى التي صنعت تاريخنـا الحديث ٠ فهناك بكل تاكيد خصائص متميزة لهذه القـوى ٠٠ خصـائص تختلف عما نجده في المجتمعات الاخرى وخاصـة في المجتمعات الغربية ٠

هناك خطوات اخرى يجب أن نبذلهـا لنصـون تاريخنا حتى لا يصبح مادة سهلة في أيدى العلمـاء الغربيين يتصرفون فيه كما تشاء لهم اهدافهم ، ومن هذه الخطوات :

اولا : جمع الوثائق التاريخية والاهتمـام بها ، فقـد تقلصت دار الوثائق المصرية الى مخزن صغير ضيق يعلوه الغبار، وتتكدس فيه هذه الثروة الثمينة المتصلة بتاريخنا كله، ويجب أن ننشىء لهذه الوثائق بناء واسعا منظما الى اقصى درجات التنظيم ، على أن يضم هذا البناء الجديد الوثائق المبعثرة في دار الوثائق بعابدين ودار المخطوطات بالقلعة ودفترخانة المحكمة الشرعية ودفترخانة وزارة الأوقاف ٠ ولا بـد من تأليف لجنة عليا للوثائق المصرية تحصرها وتدرسها وتحافظ عليها ، وتقـوم بعمليـة شـاملة لتنميـة « الارشيف المصرى » الذى يمكن أن يتخـرج منـه بلاشك جيل جديد من علمائنا المصريين بل جيل جديد من علماء العالم المهتمين بالدراسات المصرية٠ والحقيقة أن الوثائق المصرية لم تخط ـ في تنظيمها ـ خطوة واحدة منذ أن قام الملك فؤاد بتنظيم جزء منها ليجعله أساسا للدراسات التاريخية « المزيفة » التي كتبت في عهده عن أسرة محمد على ٠

ثانيا : يجب أن نجمـع بمنتهى الحـرص كل مذكرات الزعمـاء المصريين بحيث تكون نصـوصها تحت أيدى العلماء والباحثين ٠

ثالثا : لا بد من نشر الرســائل العلميـة التي يكتبها شـباب العلمـاء عندنا عن التـاريخ المصرى والتاريخ العربى ، فكثير من هذه الرسائل للأسف لا تجد فرصة للنشر وتظل ضائعة مبددة رغم قيمتها واهميتها ٠

هذه صـورة من واجباتنـا نحو تاريخنـا كمـا اسـتطعت أن أستخلصها من مناقشـاتي مع بعض علمائنا الكبار ، وبخاصـة أسـتاذنا العـالم الكبير الدكتور محمد أنيس ٠ انها واجبات هامة يجب أن نتحملها ـ على مسـتوى الدولة والتنظيم الشـعبى والجامعات، في سبيل تاريخنا حتى يصبح هذا التاريخ قلعـة منيعة لا يستبيحها أعـداؤنا بأى شـكل من الأشكال ٠

رجاء النقاش

الفلاح في الشعر العربي

وتصوير شقائه

بقلم : محمد عبد الغني حسن

- ٤ -

من المؤكد ان استجابة الشاعر لمشهد يراه ، او حادثة تقع عينه ، او لتجربة يمر بها او تمر به تختلف بحسب استعداده لتلقي الصور المادية والمعنوية، وبحسب قوة التخيل عنده، وبحسب عواطفه ومقدار انصهارها وانفعالها ، وبحسب قدرته على التلوين ، وبحسب مقدرته على ربط العلاقات بين الأشياء حسية كانت أم معنوية ، وبحسب ما قد يكون راسبا في أعماقه نتيجة خبرات سابقة أو قراءات أو مدخرات ماضية .

فالناعورة - أو كما نسميها الساقية - هي آلة بسيطة غير معقدة ، مزودة بقواديس تحمل الماء من البئر لتلقيه في القنوات ، ويجرها حيوان زراعي - غالبا ما يكون الثور - وهي تدور ليدور معها الحيوان في محيط دائم لا يتغير مساره ، وتحدث في دورانها صوتا خاصا يعرفه سكان الريف ... هذه الصورة البسيطة قد نظر اليها شاعر عربي عصري من شعراء العصر الوسيط نظرة خاصة ، فتوهمها خائفة ولهانة ، وتصورها تدور هذا المدار الدائم من باب الحيرة ، وتخيلها تبحث عن الماء والماء فوقها محمول :

ناعورة مذعورة
ولهانة وحائرة
الماء فوق كتفها
وهي عليه دائرة

ونظر اليها الشاعر « **محمد مفيد الشوباشي** » من ناحية صوتها فجعله نواحا ، واكتفى من هذا الملحظ التشبيهي بهذا القدر ، لم يجاوزه الى ما هو أبعد ، فلم يقل لنا - مثلا - لماذا تنوح هذه المسكينة : أهي تنوح لما ينوح الناس لأجله من فراق حبيب ، أو ظلم صارخ ، أو ألم ممض ، أو هوى مبرح ؟!

ثم جاء الشاعر « **كمال بسيوني** » فجعل بكاء الساقية وانينها حزنا على الفلاح الشقي الذي يكد ويحظى غيره بثمرات كده ، وهو جائع عريان :

دعها تئن وتبكي ... ان فيك فتى
سواه يحصد وهو الباذر العاني
جوعان ، عريان ، يكسوهم ويطعمهم
ظمآن يسقيهمو من دمعه القاني

وهذه العاطفة الوجدانية بين الناعورة وهي جماد، وبين الفلاح الشقي المحروم البائس وهو انسان يحس ويتألم ، هي دليل على احساس كامن بسوء حالة فلاحنا عبر عنه شاعرنا على طريقته وفي حدود طاقاته في الخلق والفن والخيال .

ولكن الغريب أن الشاعر « **محمود حسن اسماعيل** » امام شعراء الريف ومدره الفلاح القدير، قد جعل هذه العاطفة بين الناعورة وبين الثور الذي يجرها ويديرها ... فنقل الاحساس بالألم والشقاء نقلة عجيبة من دنيا الانسان الى دنيا الحيوان ... حين يقول في وصف الساقية - أو الناعورة - من قصيدته : « القيثارة الحزينة » :

دءوبة الشكوى على راسف
في الذل مفجوع على جده
دارت به البلوى فما راعه
الا عماء غال من رشده
وضلة يسعى بلا رائد
على سبيل فل من جهده
أعمى رماه البين في دارة
لم يدر نحس الخطو من سعده
شدت حبال الذل في راسه
وفت صرف الدهر في كبده

مناوح الضـــجة فى أذنـه
وملعب الســوط على جلده ...

فالثور هنا ينال من احساس الشاعر ما لم ينله الفلاح . ولعل تقارب الصلة بين الساقية والثور أكثر ارتباطا مما بين الساقية والفلاح الذى قد بعد عن الصورة ، فبعد عن الظهور ، فبعد عن الاحساس بشقائه . والتلازم هنا فى « التداعى » هـو الذى أملى على محمود حسن اسماعيل الاحساس بالعذاب الذى يرسف فيه الثور . ومما يؤكد هذا أن شاعرنا الكبير قد كرر الفكرة نفسها فى قصـيدة « من الراعى » احدى قصائد ديوان « أغانى الكوخ » حيث يقول :

وكم ناعــورة ناحت
على مستعبد فيهـا
أسير السوط كم ضجت
له يومـا أغانيهـا
شربنـا المدمع الصافى
نميرا من مآقيهـا ..

وتظل الساقية أو الناعورة تئن وتبكى حزنا على الثور المستعبد ، المقيد ، المعصـوب العينين ، فى شعر محمود حسن اسماعيل حتى سنة ١٩٣٥ ، الى أن نراه بعد ذلك التاريخ ، وفى ديوانه : « هـكذا أغنى » . المطبوع سنة ١٩٣٨ يترك حكاية الثور المفجوع على حظه التاعس ، ويجعل أنين الساقية بكاء وحزنا على الفلاح نفسه ... على الانسان المعذب . وقد لا يكون الفلاح هنا ماثلا فى اللوحة الشعرية مع الساقية ومع الثور الذى يديرها ، ولكن محمود حسن اســماعيل « استحضره » حتى تتم عملية الاحساس الكامل بالألم فى أبشع صوره : احساس بالألم عند الثور الذى قيدته يد الظلم ، وعند الفلاح الذى يشارك الثور فى تعس الحظوظ :

والسـواقى مفجعـات عليـه
نائحـات تريق من عبراتـه
عندهـا الثور قيدته يد الظلـ
ـم ، وهذا حليفه فى سماته !

على أن الفلاح الشقى الكادح لغيره والمؤثر غيره على نفسه لم يمنع تصوير شقائه من أن يوصف بالسعادة عند بعض الشعراء ، وهو وصف يؤكد ما فى العمل نفسه من ايحاء بمعنى السعادة ، على الرغم مما يكابده العامل من تعب وهبوط فى مستوى العيش . وهـذا المعنى « الطوباوى » الجميل قد أحسن التعبير عنـه الشاعر المصـور الريفى المبدع « **عبده بدوى** » فى قصيدته « الفلاح السعيد » ، وفيها يقول :

أنا الفـلاح كم صـلت
أغـاريدى عـلى الأرض
فبعضى قام فى نخـل
وفى عشب هـوى بعضى
صـعدت سماءهـا طيرا
وذرت بروضهـا دوحـه
وكنت الريشـة الخضـراء
فى اخراجهـا « لوحـه »
صحبت البذرة العـذراء
حتى أصـبحت ورده
ولـمـا دار نهداهـا
لممت الشعر فى عقـده

ويظل الفلاح فى هذه الأغنية السعيدة يعدد لنـا وجوه سعادته ، حتى بطفلته التى تشـم القمح فى جسده فتسأله عن القمح ... ثم يحكى لها قصصه حتى تنام وتذهب فى حلمها الوردى ، ثم يصحو على صوت عصفور يناديه من فوق ربوة :

فارسـل غنوتى البيضـا
« للغصـن الذى اثمر
وللأرز الـذى ينمـو
وللقطن الذى اقمر !

وهذا الرضى أو تلك السعادة عند الفلاح فى شعر عبده بدوى لم يكونا خنوعا ولا استكانة ، بل كان وراءهما تصميم على الخلاص من الظلم . فهذه « القرية الطيبة » فيها اصرار وعزم على التحرر :

هنا من القـرية الخضراء حيث جزائر الشـجر
فئـوس تنقش التاريخ فـوق جوانب القمر
وقوم اقسـموا بالجوع مطروحا على السـهر
لسوف نشق قلب الظلم! قلب وجوده الحجرى ..

وهذا الشعور بالسعادة عند الفلاح ، على الرغم من أله ، هو نتيجة ــ عند الشاعر عبده بدوى ــ للحب الذى يملأ كيانه ، والايمـان العميق الذى يتخلل بنيانه . وهذا الفلاح « حمدان » يقول فى ثنائيـة شعرية بينه وبين « حميدة » :

الحب لم يصبح غناء أو هتافا في الصدور
الحب فيما طرزت كفاى في الحقل الكبير ..

والشاعر هنا يحيل الحب الى عمل ، والى باعث على العمل ودافع له . وما أقوى حب حمدان وهو يخاطب فتاته « حميدة » ، قائلا عن الحب :

فلتسمعيه نبضة مصرية بين الجذور
ولتبصريه جنة لقاء صادحة العطور
حبى له جذر .. له ساق ، له ثمر منير ..

والحب في الريف عند عبده بدوى وفي قصيدته « تذكار » ، هو الكفاح ، والبناء في اصرار ، والبذور التى تستحيل مع العمل والكدح الى اشهى الثمار :

عرفا الحب في الحياة كفاحا
وبناء يقيمه اصرار
وبذورا اذا رماها فغنت
بين أهدابها ثمار تدار

والحب عنده كذلك هو الذى جعل الفلاح يغرس الأرض ايمانا ، ويطرزها حبا :

فانى قد غرست الأرض اصرار وايمانا
وقد طرزتها بالحب رابية ووديانا
فنيت بها فالقتنى على الريحان ريحانا

واذا كنا نجد في الشعر العربى منذ عصوره الأولى نغمة الحنين الى الوطن عند الاغتراب . فاننا نجد عند بعض شعرائنا المعاصرين نغمة الحنين الى القرية والى الريف . وقد جذبت المدينة كثيرا منا - نحن الشعراء - اليها ، فقطع بعضهم صلته بالريف حين أخذته الحواضر بزحامها . ولكنا لا نعدم عند شاعر أو آخر نوعا من ذلك الحنين الذى صوره لنا الشاعر سيد قطب في ديوانه « الشاطىء المجهول » ، وفي قصائده التى جعل عنوانها العام : وحى الريف ، فقد عاد شاعرنا الى الريف سنة ١٩٣٣ بعد أن غادره صبيا ، فخاطبه قائلا :

انى فقدتك في الطفولة غافلا
عما حويت من الوجود السامى
لكن وجدتك اذا كبرت بخاطرى
رمزا أحيط بغمرة الابهام
وتكشفت نفسى فلحت ، كانما
نفسى وأنت جمعتما بتؤام
ووجدت أحلامى لديك وضيئة
لم تبل جدتها يد الأيام
واليوم عدت اليك احسب اننى
طير يؤوب بعد جهد دامى
يا ريف ! تدعونى اليك ، واننى
للمستطار الى لقاك الظامى

والحق اننا لا نحس في هذه الأبيات الفاترة حرارة في العاطفة ، ولا تحرقا في الشوق ، ولا فرحة كبرى في العودة ، كمثل الذى نجده في قصيدة « عائد الى القرية » ، للشاعر عبده بدوى الذى يرقصنا كل بيت من ابياته فيها ، كانما نشارك - نحن أهل المدن - الشاعر فرحته الضافية بهذه العودة ! فالصور الريفية عنده حية زاهية فتانة الألوان ، والشعور عنده ينتفض انتفاضات كبرى نابعة من القلب ، لا من الصور التقليدية التى ارتطم الشاعر سيد قطب فيها بمثل تعبيراته : « الوجود السامى » ، ولم تبل جدتها يد الايام » . ونكتفى هنا - في هذا المجال الضيق - بذكر بعض مقاطع من قصيدة عبده بدوى : (عائد الى القرية) :

أنا قد عدت يا دنياى للأحلام والنور
لأرض لم تزل تنمو وتزهر بين تفكيرى
لحقل قرب الأهداب من فوق الأساطير
واغفى تحت ظل الدوح ريان الأسارير

* * *

أنا قد عدت أشواقا تحدق فوق أهدابك
وعصفورا ينقر ماسة للفجر في بابك !
فماضى الذى قد ضاع متكىء بأعماقك
يطل بصوته ويعود مختبئا بأوراقك

* * *

رجعت لقرية تهتز بالأوراق في نفسى
أغانيها على الثغر .. وجرتها على الرأس
وماضيها يرى عريان محنيا على فأس
يرى في أوجه سمراء تحمل رهبة الشمس

الى أن يقول معرجا في انتقالة موفقة على أهله الفلاحين في القرية :

هنا أقوامى البسطاء متكسرين كالعشب
على أجفانهم ما بين دنياهم من الحب
أحبهم فهم في الأرض ما أملك . هم شعبى
هم العش الذى يأوى اليه مرفرفا قلبى

وهذا الحب الذى يكنه الشاعر عبده بدوى للفلاح ، والحب الذى يدفع الفلاح الى العمل والى تطريز الارض بالزرع والنبات والروابى والاودية هو الامل المتجدد المعقود على الفلاح الذى حررته الثورة من أسر الذل ، وظلم الاقطاع .

محمد عبد الغنى حسن

وحدة العالم العربي في السودان

بقلم الدكتور أحمد محمد الحوفي

لقد تبين من المقالين السابقين أن العراق والشام ومصر عريقة في عروبتها . فهل السودان عربي مثلها؟ وهل هو عريق في عروبته عراقتها ؟

لست أريد أن أتعجل الحكم بعراقة السودان في عروبته ، بل أدع التاريخ يحدث بما رآه وسمعه وسجله .

فبماذا يحدث التاريخ ؟ انه يحدث بأن علاقة العرب بالسودان قديمة ، اذ رحلت جموع من السبئيين من جنوبي بلاد العرب الى الساحل الغربي للبحر الأحمر منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، وأقاموا فترات في بعض جزره مثل سقطرة ودهلك ، ثم انساحوا على الساحل الافريقي ، وجعلوا يجوبون الى الداخل بقوافل الابل ، ولا تزال أسماء بعض الأماكن بجوار مصوع وعصب تدل على توغلهم في هذه المناطق .

وقد كان اليمنيون من معين وسبأ وحمير على اتصال دائم بساحل افريقية ، وتبين البحوث الحديثة أنهم أدركوا قيمة موقع زنجبار ، فاتخذوها مخزنا لسلعهم ، ومنها توغلوا الى الداخل والى البحيرات الكبرى .

ويستدل علماء الأجناس من ملامح السكان في اقليم بحيرة فيكتوريا على أن صلة العرب بالاقليم ترجع الى عهد بعيد .

ثم نزحت جماعات من بلي الى بلاد البجة قبل الاسلام ، ولم تلبث أن تبعتها جماعات من الحضارمة في القرن السادس الميلادي ، ويغلب على الظن انهم اختلطوا ببلي وامتزجوا بهم ، وكانوا جميعا في زمن المسعودي هم المسلمين دون سائر البجة ، وما زال البجة الى يومنا هذا يسمون اللغة العربية (بلويت) أي اللغة البلوية ، نسبة الى بلي التي حملت اللغة العربية اليهم .

ثم بدأت صلات العرب المسلمين بالسودان منذ بلغ عبد الله بن سعد بن أبي سرح دنقلة سنة ٣١ هـ (٦٥١ م) فمهد الطريق للاتصال الدائم ، لأنه عاهد أهل النوبة على حماية المسلمين الذين يقدمون الى بلادهم تجارا وغير تجار ، وعلى صيانتهم المسجد الذي بناه المسلمون في دنقلة .

ولم يلبث العرب بعد ذلك أن اتجهوا الى السودان في جموع كثيرة يتلو بعضها بعضا .

وقد سلكت هذه الجموع الى السودان ثلاثة طرق:

أولها : الطريق الشرقي عبر البحر الأحمر ولاسيما من باب المندب ، لأن السكان في بلاد اليمن قد كثروا وآثر بعضهم الهجرة ، ومن هؤلاء المهاجرين من شخصوا الى السودان ، لسعته وخصبه وصلتهم به من قبل ، ولأن العبور اليه ميسور سهل ، وهم أهل خبرة بالملاحة التي مارسوها من زمن بعيد .

وثانيها : الطريق الشمالي الذي يخترق مصر ، لأن كثيرا من القبائل العربية كانت تهاجر الى مصر مخترقة برزخ السويس ، ثم تتجه الى الجنوب حتى تستقر بالسودان .

وثالثها : الطرق الليبية التي تصل السودان الشمالي الغربي بصحراء ليبيا ، وبعض هذه الطرق يشمل مصر وبرقة ، وبعضها يبدأ من تونس وطرابلس وفزان ، وبعضها يبدأ من الصحراء مباشرة .

ولقد كان العرب الذين يهاجرون الى السودان يطمئنون الى المقام به ، لأنهم يجدون اخوانهم قد سبقوهم الى هناك ، ويجدون المراعي الكثيرة الصالحة للابل والبقر ، ولهذا كان منهم الأبالة (رعاة الابل) والبقارة (رعاة البقر) .

وليس من غرضي في هذا البحث أن أفصل المقال في هذه الهجرات ، ولهذا أكتفي بأمثلة لها :

١ ـ حينما قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ (٧٠٥ م) فر كثير من الأمويين وأتباعهم الى مصر ،

فى ألفين أو أربعة آلاف ،فتعقبهم العباسيون، فهربوا الى السودان ، وأقاموا فى منطقة سنار ، ثم انضم اليهم كثير من العرب الذين قدموا من الجزيرة ٠

٢ ـ رحلت بطون من بنى سليم ـ من ربيعة بن نزار ـ من اليمامة الى مصر فى خلافة المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ) وانتشروا بنواحيها ، ونزلت طائفة منهم بالصعيد ، ثم حاربهم الأيوبيون ، فانسحب أكثرهم من أسوان الى الجنوب ، واتخذوا بلاد مريس مركزا لنشاطهم،ولا تزال ذراريهم باقية الى اليوم فى النوبة وشمالى السودان ، وهم الذين لقبوا ببنى الكنز نسبة الى كنز الدولة أصغر زعمائهم وكان الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله قد أطلق عليه هذا اللقب مكافأة له ، لأنه ساعده على الخلاص من الثائر الأموى أبى ركوة ٠

٣ ـ ورحلت بطون من هلال الى السودان فى الحملة التى وجهها السلطان قلاون سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) الى بلاد النوبة ، ثم ارتحلت جموع منهم ومن بنى سليم الى السودان قادمة من المغرب ، ثم لحقت بهم بطون من هوارة منذ أول القرن التاسع بعد الهجرة ٠

٤ ـ كانت جهينة من أوائل العرب الذين دخلوا مصر فى عهد عمر بن الخطاب ، فاستقر معظمهم فى وادى النيل وفى الشرقية والقليوبية بخاصة ، وأقام بعضهم فى الصحراء الشرقية ، فزحفت جهينة جنوبا الى السودان ٠ على أن الجهنيين سلكوا الى السودان طريقا آخر ، فقد كانت منازلهم بالجزيرة ما بين ينبع ويثرب ، فاجتاز كثير منهم البحر الأحمر ، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ، وكاثروا هنالك سائر الامم ، وغلبوا على بلاد النوبة ، وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم ، وحاربوا الحبشة فأرهقوهم ، وهناك زادت قبائلهم على الخمسين فى وادى النيل الأزرق حتى تونس ، وأقام بعضهم فى الجزء الممتد من الجنوب الى كردفان ٠

وما تزال الانساب العربية باقية متوارثة ، فالى جهينة ينتسب أكثر من نصف العرب بالسودان ، وينتسب آخرون الى الزبير بن العوام ، وهم العبايدة والكواهلة المقيمون على النيل الأبيض والنيل الأزرق وفى الجزيرة التى بينهما فى ناحيتى عبود وود مدنى ، وبعضهم بادون يسكنون غربى الرهد مع الحمدة ، ومن فروعهم الحسنات والشنابلة ٠

وتنتسب الى جذام (قدموا الى مصر منذ الفتح وأقاموا مع جهينة بالصعيد) قبيلة الكبابيش ـ رعاة الابل ـ فى شمالى كردفان ، وتنسب الى ثعلبة (وهم من طيىء قدموا الى مصر بعد الفتح بقرنين أو ثلاثة) قبيلة البقارة فى غربى السودان ، وتنسب الى ربيعة بنوكنز المقيمون بين أسوان وحلفا ٠

ويظهر أن المحالفات أحدثت بعض الخلاف فى النسب ، لأن البقارة والكبابيش الحاليين ينتسبون الى جهينة ، وهم فى الحقيقة أحلاف تجمعوا على فترات ، وتألفوا من عدة بطون لعل أهمها جذام وجهينة والهوارة وبنو هلال وبنو سليم ولخم وبلى وغيرهم ٠

وهناك الهوارة فى شمالى السودان : وهم من هوارة صعيد مصر ، والهلاليون فى غربى السودان ، وبنو سليم بالنيل الابيض ، وبنو فزارة فى وسط كردفان وشرقيها ٠

وبالسودان فروع من قريش ممثلة فى البكريين والعمريين والزبيريين والطالبيين والعباسيين والأمويين والجعفريين ٠

وقد أسس بعض العرب هنالك ممالك وسلطنات عربية فى السودان الشمالى ، بعد أن توالت هجراتهم وتزايد عددهم ، واشتد نفوذهم ، وكان من آثارها نشر اللغة العربية ، وتوسيع مجال الثقافة الاسلامية وتيسير الغلبة للدماء العربية ، مثل مملكة الفنج سنة ١٥٠٤ م التى دامت أكثر من ثلاثة قرون ، وهى المملكة التى أسسها فى سنار عرب من بنى أمية ، ومثل مملكة تقلى فى الشمال الشرقى من مديرية كردفان ، أنشأها العرب فى أواسط القرن السادس عشر ، ولها فى تاريخ العروبة شأن عظيم ، لأنها مكنت للعرب أن يتوغلوا فى شمالى النوبة ، ولأنها ساعدت على نشر الاسلام واللغة العربية ، وشجعت على المصاهرة بين السودان والقبائل النوبية ، وأغرت القبائل العربية بالهجرة الى السودان والاستقرار فيه ٠

واذن فقد حفل السودان بالعرب ، وزخر بالانساب العربية منذ الفتح الاسلامى بخاصة ، سواء أكانت القبائل العربية قدهاجرت اليه عن طريق مصر ، أم رحلت اليه من شمالى افريقية ، أم قدمت من الجزيرة عابرة البحر الأحمر ٠

ومعنى هذا أن السودان صار ـ جنسا ولغة وثقافة ودينا وتاريخا ـ اقليما من الوطن العربى الكبير ٠

« د ٠ احمد الحوفى »

قصيدتان

للشاعر: أحمد رامى

ساعة الوداع !

قلب لم يبق للتعلل داع
كل همى فى قبلة للوداع

كم توهمتها عل موج ظنى
وسفين الهوى بغير شراع

كلما جاد لى الزمان بقرب
منعتنى من العناق الدواعى

وتوالت عل اللقاء الليالى
وكانى ما عدت بعد انقطاعى

ويمر الزمان بين لقاء
وفراق فى لهفة والتياع

وكانى ما نلت من بعد صبرى
غير شوقى لقبلة فى الوداع

***

ايه يا ساعة الوداع لقد خا
يلت عينى بطيفك الخداع

كلما صور الخيال لى الفرقة
من بعد الفة واجتماع

نازعتنى نفسى الى ذلك المو
قف والدمع بين جفنى ساع

وهى ترنو الى نظرة اشفا
ق وترثى لحسرتى وارتياعى

فوددت الفراق عل فمى
ينهل ما يشتهيه بعد امتناع

نداء ..

احببتها من غير ان ادرى
ان النوى تفضى الى الهجر

مال لها قلبى لما رأى
دمع الاسى من عينها يجرى

اصغت الى شعرى رددته
ابثه ما جال فى صدرى

فقامت الأدمع فى عينها
ثم انثنت تنهل كالقطر

بكت على شكواى من غيرها
وما درت ما جد من أمرى

يا جارة البستان بين الربا
فى الروضة الناضرة الزهر

أهكذا تمضى الليالى بنا
والشهر ينسل من الشهر

والقلب من فرط الذى شفه
يبكى عل ما فات من عمرى

واخجلتا منه وقد سمته
ذل الضنى من شدة الصبر

منيته ان تطفئ شوقه
ولم يزل فى وقدة الجمر

جودى بسطر وارحمى وجده
فانه يقنع بالسطر

حرمت عينى نعمة المجتلى
فلا تذيبى القلب بالهجر

لو ..

للشاعر: محمد أحمد العزب

لو أن الحب استرخى فى الأهداب .. ونام على الشفتين
لو أن الأمل الناعم هز عروش اليأس بأنملتين
لو أن الحزن لكل جراح الناس تمطى فى الأعماق
لو أن « الآخر » يحيا فينا يقظا مشدود الأحداق
كانت أيدى اللقطاء تعانق خلف جدار الليل أبا
كانت أحلام الغرقى تشعل كل جليدى لهبا

كانت كل الأفواه الجوعى تأكل .. وتغنى فرحا
وتعيد البسمة للشهداء .. تعيد الروح لمن ذبحا
وبألف تميمة حب تبحر خلف جبال الآزال
تستل الحقد من الموتى فى التيه .. وخلف الأدغال
تستل الحقد من الثاوين هناك على جبل الصمت
من كل شهيد مات على صحراء الخوف بلا موت

وتقينا لعنات الماضى الموتور وأحقاد الحاضر
لنعانق دنيا تتهلل جبهتها بالحب الناضر
فنبى الأرض . الانسان المتهرىء . ما زال نقيا
الحرف الأبيض يستلقى فى دمه فجرا ورديا
ولأن الحب استرخى فى الأهداب ونام على الشفتين

ولأن الأمل الناعم هز عروش اليأس بأنملتين
ولأن العالم صنع الخبز وبشر كاهنه بسلام
وتغنى بالخصب .. وغنى للفجر .. ولوح بالأعلام
ينسى الانسان الفادى كل الآلام اللاانسانية
ويرش الزهر على الشوك المسموم ويغسل أحزانه



فتح بيت المقدس

بقلم : علي أحمد باكثير

المشهد الثامن

عمرو بن العاص بمعسكر المسلمين في ظاهر بيت المقدس .

يرى صفرونيوس على رأس وفد ايلياء وهم جلوس بين يدي عمر وعنده أبو عبيدة وعبد الرحمن ابن عوف وعمرو وخالد ويزيد بن أبي سفيان ومعاوية وكعب الأحبار .

عمر : مالي أراك عابسا أيها الشيخ الجليل ؟ ألم يوافق أهل المدينة على الشروط ؟

صفرونيوس : يا أمير المؤمنين ان شئت أن يتم الاتفاق بيننا فأخرج من اجتماعنا هذا اليهودي .

عمر : ويحك هذا ليس بيهودي . هذا قد أسلم فهو منا .

صفرونيوس : أليس كان يهوديا ؟

كعب : كنت يهوديا ولكني قد أسلمت وصرت من المسلمين .

صفرونيوس : اليهودي لا يخرج عن مسلاخه أبدا وان بدل دينه سبعين مرة .

كعب : يا أمير المؤمنين انما أرادوا أن يبعدوني لأني أعرف ما يضمرونه من كيد للمسلمين .

صفرونيوس : كلا بل لأنك تكيد لنا وللمسلمين من أجل أصحابك اليهود .

كعب : يا أمير المؤمنين أجرني من هذا الذي يتهمني ظلما في ديني .

صفرونيوس : ألم تتصل بأصحابك اليهود في هذه البلاد ؟

كعب : هم الذين اتصلوا بي لأرفع مظالمهم الى أمير المؤمنين وقد فعلت .

صفرونيوس : هاهو ذا يا أمير المؤمنين قد أقر على نفسه .

عمر : ياكعب ان شئت أن تبقى نظيفا غير متهم فاقطع صلتك باليهود فلا شأن لك بهم .

كعب : يا أمير المؤمنين انهم مظلومون في هذه البلاد . وينبغي أن تعدل بينهم وبين النصارى فهم جميعا من أهل الكتاب لا فرق بينهم الا أن هؤلاء يقولون الله واحد وهؤلاء يقولون الله ثالث ثلاثة .

عمر : ويلك يا كعب .. ان الله تبارك وتعالى قد أدبنا خيرا من ذلك اذ قال : ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن .

(يسكت كعب وينظر عمر الى أصحابه كأنه يستشيرهم) .

ابن عوف : ليس من حق هؤلاء يا أمير المؤمنين أن يقولوا نريد فلانا أو لا نريد فلانا من أصحابك ، فانا لم نقل لهم هاتوا فلانا ولا تأتوا بفلان .

خالد : أجل يا أمير المؤمنين ما شأنهم بكعب ان كان مسلما أو يهوديا، هذا من التعنت . ان كانوا لا يريدون المصالحة فخل بيني وبينهم فسأكفيك امرهم باذن الله .

صفرونيوس : يا أمير المؤمنين انا جئنا لنفاوضك ولنفاوض المسلمين لا لنفاوض اليهود .

عمر : ونحن كذلك يا أمير المؤمنين انما نفاوض أهل ايلياء وهم نصارى فما ضرك لو أجبتهم الى ما يطلبون وانه لهين .

كعب : اخراجي من المسلمين هين يا ابن العاص ؟

عمرو : بل خروجك من الاجتماع يا كعب فهو ما يطلبون .

أبو عبيدة : هذا هو الرأي يا أمير المؤمنين فان يعلم الله ان كعبا صادق في اسلامه فلا يضره ذلك .

عمر : **صدقت .. اخرج يا كعب الساعة فاذا احتجنا اليك دعوناك .**

كعب : **يا أمير المؤمنين كيف ترضى الدنية في ديننا ؟**

عمرو : **(ينهره) دع عنك هذا ويلك .. اخرج .**
(يخرج كعب) .

عمرو : **الآن وقد أجابكم أمير المؤمنين الى ما طلبتم فعجلوا بالموافقة قبل ان يكل امركم الى خالد فليفتحنها عليكم عنوة .**

صفرونيوس : **اننا قبلنا الشروط جميعا الا ان يؤذن لليهود بدخول المدينة فهذا ما لانقبله بحال .**

عمر : **لكن بها مآثر الانبياء والرسل وهي تراث للمؤمنين على اختلاف أديانهم فكيف تمنع عنها اليهود ؟**

صفرونيوس : **ان هرقل قد اجلاهم من المدينة والزمهم ان يبتعدوا عن أسوارها ثلاثة أميال ونحن لا نرضى بغير ذلك .**

خالد : هرقل لم يبق له في ايلياء حكم ولا أمر .

صفرونيوس : لكن شعب ايلياء هم الذين طلبوا من هرقل ذلك لما ارتكبه اليهود اثناء احتلال الفرس من تنكيل بالنصارى وتدمير لكنائسهم .

عمر : انما ارتكبوا ما ارتكبوا لأن كان الفرس يمالئونهم عليكم اما نحن فاطمئنوا فلن يقع مثل ذلك منا أبدا .

صفرونيوس : انكم لا تعلمون ما يستطيع هؤلاء الأبالسة ان يقوموا به من الدس والوقيعة بيننا وبينكم حتى يوغروا صدوركم علينا أو يوغروا صدورنا عليكم ألا ترون أن احدهم قد طلع لنا من بين أظهركم زاعما أنه مسلم وهو يهودي عريق .

كعب : (يتطلع من باب الخيمة) يا أمير المؤمنين احمني من لسان هذا النصراني المتعصب .

صفرونيوس : انه بقي معنا ولم يخرج .

عمر : ويلك يا كعب .. اذهب ذهب الله بك .. نحوه عن الباب .

(يجذبونه فيخرج) .

صفرونيوس : ارأيت يا أمير المؤمنين ؟ كيف نأمن هؤلاء اذا اقاموا بيننا في المدينة ؟

عمر : اذن فسنعطي لكم الا يساكنكم أحد من اليهود في المدينة على الا يمنعوا من الزيارة والحج .

صفرونيوس : لقد كانوا ممنوعين ان يطأوا ترابها في عهد هرقل .

عمر : دعني من عهد هرقل .. انكم لاتريدون أن يساكنكم اليهود ليس من أجل أنهم من اتباع موسى عليه السلام ولكن لغدرهم وجشعهم وقسوتهم وكبريائهم على من سواهم . ونحن قد اخرجناهم من مدينتنا كذلك ليس من أجل انهم يهود بل لما غدروا ونقضوا العهد ومالئوا العدو .

صفرونيوس : انك لتعرفهم جيدا يا أمير المؤمنين .. انهم هكذا منذ كانوا ولقد كانوا يحرضون هرقل عليكم من قبل ليقضي على دينكم قبل ان يعظم أمره . فلما رأوا انكم منتصرون اليوم طفقوا يترددون اليكم ليغروكم بنا ولتنتقموا لهم منا .

عمر : لننتقم لهم منكم ؟ هذا والله لايكون ابدا قال تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود .. والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون .

صفرونيوس : أهذا في كتابكم ؟

عمر : نعم .

صفرونيوس : فما بالكم تدافعون عنهم وهم أشد الناس لكم عداوة ؟

عمر : ان ديننا يأمرنا بالعدل والاحسان . ومن العدل والاحسان الا يضار مؤمن في دينه . ولا يمنع من أداء شعائره . وبايلياء مآثر الرسل والأنبياء . ونحن نؤمن بهم جميعا ولا نفرق بين أحد منهم . والله هو الهادي واليه مصير العباد . قال تعالى : وقالت اليهود ليست النصارى على شيء . وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .

صفرونيوس : فنحن كذلك نؤمن بالرسل جميعا ولا نفرق بينهم ولكن اليهود هم الذين يفرقون يا أمير المؤمنين ، انهم يكفرون بالسيد المسيح ويقولون فى أمه الأقاويل •

عمر : قاتلهم الله أنى يؤفكون ، بسم الله الرحمن الرحيم اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين • ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين • قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون •

صفرونيوس : أهذا فى كتابكم يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم •

صفرونيوس : قد قبلنا اذن يا أمير المؤمنين •

عمر : اقرأ يا معاوية كتاب الصلح •

معاوية : (يقرأ) بسم الله الرحمن الرحيم •• هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الامان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم •• وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها انه لاتسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم •

عمر : على رسلك •• اضف هنا فى هذا الموضع •• ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود •

معاوية : (يكتب) ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود •

صفرونيوس : خذ ياأمير المؤمنين هذه مقاليد بيت المقدس !

« ستار »

ذكرى لقاء

للشاعر : إبراهيم شعراوى

تساءلت : يا قلب هل كان فجرا
فابصرت قلبى فى حيرة
وانصت وهو يقول : التقينا
نعم ، لحظة كان ذاك اللقاء
لماذا رايتك فى المنحنى
لأهدر معنى الاباء بقلبى
لأحصى النجوم واحيى الهموم
هلال يفيء على الجبهة
وقهقهة كخرير المياه
بل غضة انت كالبرعم
وكالفجر فى وجهك الباسم
وانصت للدف يرسل ايقا
والثمه حين ياتى ونيدا
وقد شف مثل وشاح الحرير
احبك أنت اخضرار الحياة
لقد كان عهدا وديعا ونيدا
نعم لحظة كان ذاك اللقاء

لقانا على الشط ام كان عصرا
يحملق فى وقد رام امرا
مرارا مساء وصبحا وظهرا
ولكنه دام طيفا وذكرى
وغذيت روحى باغلى المنى
وامضى بهذا الورى مدعنا ؟!
واقطع فى الفجر خيط السنى !
وصدر يعربد بالفرحة
تخط النهار على صفحتى
وانت شذى الورد يا ملهمى
أرى نشوة الفرح الدائم
عه وينغم نبضة قلبى
مع الموج من قارب فيه حبى
يؤملنى بالزفاف النضير
ودفء الدماء وشدو الطيور
تسرب فى خاطرى .. كيف مرا
ولكنه دام طيفا وذكرى

للقدماء ظروفهم

بقلم الدكتور أحمد كمال زكى

من عرضى السابق لتاريخ الشعر العربى يظهر لنا ان هذا الفن «شىء» خاص يختلف كل الاختلاف عن النثر . وان نشاته مرتبطة بالانشاد كايقاع له قيوده جعل « الوزن » شرطا أساسيا فيه . وهو فى ذلك ــ وبغض النظر عن وجهة نظر ارسطو (١) ــ التى تبدو غريبة علينا ولا تخلص من اعتراض ــ لا يختلف عن شعر الأمم الاخرى من حيث النشأة المرتبطة بالموسيقى والرقص .

ان اتخاذ الفنون الثلاثة على هذا النحو يشرح لنا بسهولة علاقة الوزن بحركة الراقص وبايقاع النغم، ولكنه يحتاج الى أن نقول ان ارتباط الشعر خاصة بالعاطفة عندما تصل الى قمة توترها ــ وهى فى هذه القمة تهتز فى موجات متساوقة على ما تؤكده الأجهزة العلمية الحديثة ــ جعل الهزات المترددة التى يقوم بها « الوزن » هى المجال الطبيعى بل الوحيد لكل شعر . ومن هنا نفهم لماذا يصر كبار النقاد على التشهير باصحاب الشعر الحر الذين يتحررون تماما من تعاقب الايقاعات المنتظمة فى اعمالهم .

والشعر الحر ليس هو الشعر المرسل فى الأول يسلك الثائرون على العروض كتقليد ضرورى ، وهم عندنا اصحاب القصيدة المنثورة ! وفى الثانى يسلك اغلب شعراء اوروبا ما بعدوا عن اناشيد السوناتا والبالاد ونحوهما ، كما يسلك بعض مجددى العرب من الشباب .

الشعر اذن من نشاته والى اليوم هو الكلام الموزون وقد كان دائما يبحث عن « الشكل » الذى يتنوع الوزن داخله . واهتدى قدماؤنا ــ وهم لهم ظروفهم الخاصة ــ الى أنماط حصرها الخليل بن أحمد فى الأبحر المعروفة ، وكان صنيعه فى حد ذاته محاولة منه الى أن يفرق بين الوزن واطاره . فالوزن مسلم به ولكن الاطار فيه نظر ! الأول جوهر ثابت ، والثانى عرض متغير . ولقد اضاف هو الى الأطر الجاهلية بحرين محدثين هما المجتث والمضارع ، اخترعهما المسلمون ، وأضاف الأخفش تلميذه البحر المتدارك (٢)

هذا فى الوقت الذى خلت فيه الدائرة العروضية من أوزان جاهلية ترد فى أشعار عبيد بن الابرص وامرىء القيس وغيرهما ، ومن أوزان أخرى أحدثها واحد كأبى العتاهية الكوفى وآخر كعبد الله ابن هارون البصرى مؤدب آل سليمان . قال ياقوت « وكان عبد الله بن هارون يقول أوزانا غريبة من العروض فنحا رزين نحوه فى ذلك فأتى فيه ببدائع جمة ، وكان رزين من اصحاب « دعبل الخزاعى الشاعر » (٣)

تلك الحقيقة مهمة جدا فى فهم طبيعة الشعر العربى ، وعن طريقها نقرر أن المعركة التى كانت تدور دائما بين القدماء والمحدثين ــ على شتى الأدهار ــ لم تنكر قط الوزن ، ولكنها حاولت أن تحطم الشكل الثابت الذى التزمته الاطر على نحو ما استقرت عليه فى دائرة الخليل .

ظل الوزن دائما قيدا مقدسا لم يكن من حق

---

(١) راجع « تاريخ الشعر اولا » المنشور فى العدد ١٠٩٢ من الرسالة صفحة ٢٧

(٢) العمدة ١ : ٨٨ ــ الأغانى ٦ : ١٨٥ ، ٢١ : ٦٦ (ط ساسى)

(٣) ارشاد الأريب ٤ : ٢٠٩ (ط . هندية سنة ١٩٢٧)

الشاعر أن يضيق به ، وعندما اخترع الأوزان ـ غير الجاهلية ـ جعل التفعيلة نقطة البداية لاطاره. وربط هذا الاطار بظروفه وما جد فيها من ايقاعات احدثها التطور الدائب •

ويتشعب بنا القول لو ذهبنا نقتفي معالم الخطا التي خطاهاالاطار الموزون ، الا أننا يجب أن نذكر أن قدماءنا كانوا في تقبلهم الاطار الجديد اجرأ من بعض شيوخ اليوم • ياقوت مثلا يعترف بفضل رزين العروضي ويمجده ، وابو الفرج الأصبهاني من قبله يسجل بتقدير لابي العتاهية قوله انه كان أكبر من العروض ، ويحفظ ابن رشيق لمنهوك الرجز (٤) في مدح الهادي ومدح المعتضد شيئا ، كما يحفظ كثيرون ما توسع فيه بشار بن برد من اطر ، ويروون للنواسي والخليع وسعيد بن وهب ما لا يجرى على القاعدة •

ان هؤلاء فيما بدا لنا لم يسلموا بالتنظيم الشكلي للوحدات الموسيقية القائمة على التوزيع التفعيلي القديم ، ولكنهم من ناحية أخرى سلموا بضرورة بقاء الشعر كله في المجال التقليدي •

وليس هذا تناقضا ، لأنه في الواقع يعني أنهم مع تسليمهم بان الشكل قد يتغير الا أن هذا التغير يجب الا يخرج بالقصيدة عن حلبة الأولين • وقد كان يسوقهم الى ذلك أن « وظيفة » الشعر لم تتغير منذ شب في ظل الفخر والهجاء ـ والمدح أحيانا ـ والرثاء ، وظل الشعر مرتبطا بملك أو أمير اوعظيم ينطق باسمه ويدعو له في أغلب الأحيان ، وكانت الومضات الذاتية الفردة من الضآلة بحيث لم تستطع أن تقاوم تيار المجموع الذي يتقدمه الملك أو الأمير أو العظيم •

وهذا سر جمود القالب ، وضياع حركات التجديد الشكلية تحت الحاح التقليد على أن يبقى مسنودا من النقاد • وكل ما حدث الى جانب ما استحدث

(٤) شطر المنهوك مكون من تفعيلة واحدة هي « مستفعلن » وعلى سياقه قال الشاعر :

يا ليتني فيها جزع

كما قال الآخر في تلبيته :

الهنا ما أعدلك
لبيك قد لبيت لك
ماخاب عبـ د سألك
انت له حيث سلك

ـ وكان هينا في الحقيقة ـ هو تجزيء البحر مع التفنن في استخدام العلة بحيث يصبح البحر البسيط •

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

شيئا آخر اذا كانت عروضه مقطوعة مجزوءة والضرب مثلها أي

مستفعلن فاعلن مستفعل
مستفعلن فاعلن مستفعل

واما اذا كان من المخلع فهو على هذا النحو الغريب :

مستفعلن فاعلن فعولن
مستفعلن فاعلن فعولن

وبالتوسع في استعمال الخبن والطي (٥) يكون المخلع نفسه بالصورة التالية أو نحوها •

مستعلن فاعلن فعولن
مستعلن فعلن فعول

ونلحظ أن الكم النغمي المكون من أسباب واوتاد وفواصل ـ باصطلاحات الخليل ـ على رغم اختلافه ظل قائما على التفعيلة كأساس للوزن ، ولكنه لم يبعد عن دائرة البسيط كما حددها الخليل • ويبدو أننا ملزمون هنا بان نقول ان العلة في ذلك هي بقاء وظيفة الشعر كما كانت ، بحيث تصبح دعوة بشار بن برد او دعوة أبي نواس من بعده الى تغيير مهمة الشاعر ـ من حيث انه يصدر عن عاطفة منفعلة بحدث ما ـ مجرد فكرة طائشة أو مجرد حلم بدده الواقع المرير •

هكذا لم يكتب نجاح ملحوظ لاى شاعر حاول تغيير الاطار وآية ذلك أن أصبحت الموشحة اليوم ـ وهي نموذج لتطور الشكل القديم ـ نمطا ننظر نحن له بعجب ، بل قد يرى بعضنا في تعدد أغصانه واقفاله زيادة في التقييد • وقد يحل بعضنا الموشحات كلها محلا ثانويا في التراث ، فاذا ذكر الموال فكأنما ذكر العبث والهراء !

(٥) الخبن حذف الثاني الساكن والطي حذف الرابع الساكن ، وقد يقع الخبن والطي في تفعيلة واحدة ويسمى الخبل •

اجل ، ولما كان للشعر العربي بانماطه التي اخترعها الجاهليون وحافظ عليها المسلمون ــ تعصبا وتقليدا لظروف اقوم ببسطها في مجلة الشعر ــ طابع الخطابة المستمد من طابع اللغة الجهير ، فقد وجد الكلاسيكيون أن من السهل ربط قصائدهم بالصخب الايقاعي مهملين تهويمات العاطفة • وبات على الشاعر ان يحملنا بموسيقاه التي يقيسها بعقله على أن نصدق تقولاته مهما يكن فيها من زور وافتعال ، وكان من يخلص الى نفسه منهم أحيانا يترفع الرواة عن ترديد شعره كأنهم يرفضون منه النغمات الهادئة التي تبعد عن الفخامة والجزالة والصلابة ونحو ذلك •

وهكذا كتب الكلاسيكيون على انفسهم أن يعيشوا في أسر الجاهليين ، يخضعون الفكرة الشعرية ــ بالتوسع فيها أو بتضييقها ــ لوحدة البيت المقفى • حتى اصبحت القصيدة في آخر الامر مجرد اصوات ماتت مدلولاتها في أصداء الروى ، وعلى تراب الصور التي أبلاها تداولها على مر الاجيال •

(٢)

أما اليوم فقد تغيرت الظروف ، وظهر جليا أن الحياة الجديدة لايمكن أن يتسع لها الاطار القديم ، ولكننا في الوقت نفسه نلتزم ببعض الاصول الفنية التي يوضع « الوزن » الشعري في مقدمتها • على أن التزام الوزن لايعني التزام الاطار ، فقد سبق أن قلنا ان الاطار يجب أن يتغير ، ونضيف أن تغير هذا الاطار دليل على الصحة وتمام العافية وليس دليلا على مرض أو عجز أو افلاس •

واذا كان الاطار القديم ــ وهو له ظروفه ــ يقوم على وحدة البيت المحدد بعدد خاص من التفعيلات ، فان المجددين باسم المضمون الجديد يرون ان لا ضرورة مطلقا لهذا الالتزام • فهم تبعا لاهتزازات عاطفتهم وخضوعا لتدافع تيار التجربة في أعماقهم يعتمدون « التفعيلة » وحدها أساسا للوزن وليس البيت كله ، بمعنى أن البيت عندهم قد يكون تفعيلة واحدة وقد يكون اثنتين أو ثلاثا ، وقد يحتاجون في البيت الى ست تفعيلات مرة واحدة •

ويتوسط جماعة من المحدثين فيرون أن «التجربة» لها وحدها حق فرض الاطار الفني ، وليس للشاعر ان يتحكم في تحديده • ذلك ان الشكل الذي يتبع نظاما معينا في الايقاع والتقفية لاشك يتلاءم مع التجربة التي تشكله ، والتجربة التي ترفض الهندسية المعينة يضيق عنها هذا الشكل وتراه مناسبا لمرحلة من مراحل تطور الفن •

مثل هذا الفريق المعتدل ــ او المذبذب بين القديم والجديد ــ يثير قضية المحتوى الشعري او المضمون على نطاق واسع ، اذ انه يعني ان في الحياة ماينبغي ان يربطنا بالماضي كله • على أننا اذا انعمنا النظر تبينا ان وراء ذلك كله مجرد خوف على تاريخ نكره ان يندثر ، وننسى في هذه الحالة انه لم يكن ثمة جديد حتى اعيد النظر في كل القديم •

ومع ذلك فقضية المحتوى تظل تحتاج الى ان يقال فيها الكثير ، ولكننا نحسم القول بان نذكر أن وظيفة الشعر اليوم لم تعد هي وظيفته بالامس • وبالتالي انصرف الشاعر تماما عن ركاب اى عظيم ، بل اصبح صدوره عن ذات مستقلة ــ وهي مرتبطة فعلا بالمجتمع ــ ضرورة يقتضيها الفن المخلص الواعي •

وكان التقدم الهائل الذي قطعته المعرفة في جميع المجالات الحيوية قد كشف عن أن البواعث التعسفية لاحترام المحتوى القديم لا يمكن أن تكون مصدر ثراء للقصيدة المعاصرة ، كما كشف عن أن الشاعر الذي يرسم اطاره الفني في حدود معان ساذجة تعرض عرضا تقريريا ــ بغض النظر عن اصطناع التشبيه ونحوه ــ لايمكن أن يعالج في هذا الاطار تمزق انسان العصر في عهد الصاروخ أو تطلع انسان العصر الى غزو الكواكب • انسان القرن العشرين القوي الضعيف ، الجبار المتداعي ، العنيد المستسلم ، هذا الانسان ليس كالانسان الفطري الذي يجعل الدابة محور حياته ثم اذا تطور ركب البراذين والبغال !

ثمة تجارب جديدة وايقاع جديد ، فلابد اذن من اطار غير هذا الاطار الذي استعمل استعمالا مستمرا طوال ستة عشر قرنا على الاقل !

ومن هنا يكون شيوخ الادب ممن يهاجمون الشعر المرسل ــ لانه يبحث عن الشكل المناسب لتجربة العصر المعقدة ــ أقرب الى التعنت منهم الى الانصاف لانه لا يعقل أن يقف شاعر العصر على الاطلال كما

فعل شوقي أو يتحدث عن الاشاوس الذين يذودون عن الحمى بحرابهم أو يجعل الحصان مكرا مفرا لا يلهب بالسوط ولايكاد ذيله يبلغ الثرى ٠

أجل ، لا يعقل أن يفعل شاعر العصر ذلك ، والا سوف تصح المنهجية التي قررها ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » ويكون المعول على النجاح ان يبدأ مقصد القصيد بذكر الديار فبكى وشكى وخاطب الربع واستوقف الرفيق ، ثم وصل بالنسيب ليستدعي به اصغاء الاسماع اليه ، فاذا علم أنه استوثق من ذلك عقب بايجاب الحقوق فرحل في شعره وأنضى الراحلة والبعير ، ثم اذا تأكد من أنه أوجب على صاحبه حق الرجاء بدأ في المديح وهكذا (٦) ٠

اننا الآن نعرف أية ثورة يعيشها العالم ،ونعرف انه يصدر بمضامين ربما عد كثير منها كفرا في نظر الاولين ٠ وليس هناك هذا الرضى الذي عمل حكام الأمس على توطيده باشاعة فكرة الجبرية بكل مافيها من خنوع وتواكل ، بل ان الانقلاب على الفهم الرياضي عرض كل القيم المتوازنة للانهيار ٠ لم يعد في حياة الانسان معقول يظل معقولا الى الأبد، لم يعد يرى في لحظات الزمن منطق التوالي المألوف، لم يعد يعيش على الارض حشرة تأكل مما يجره القدر ٠

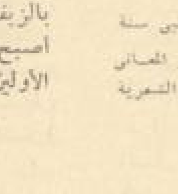
لقد اصبح « انسانا » يفكر وقد تسلح باسباب الثقافة ، كما راح يرفض – لنمو وعيه – ان يأخذ الأمور بما اعتاد أن يأخذها به الأجداد والأولون ٠ فاذا كان يحطم ما يرفض الشيوخ تحطيمه فمن أجل ان يحقق ذاته التي تكبر على الماضي وان انتفعت بالتاريخ ٠

ان الايمان بفاعليات الحياة العصرية ينقض التقليديات التليدة ، فلو كان للشعر مادته المحدودة بالشكل الثابت وليست هذه المادة هي تجربة الانسان في القرن العشرين لقنعنا بالمحتوى القديم٠ ولا يعترض احد بان التجربة الانسانية كانت دائما موضوع القصيدة القديمة ، فان هذه التجربة كانت مقيدة بأمور تعد اليوم ممجوجة وكان بسطها يتناسب مع المستوى الفكري الذي سما اليه الاولون ٠

لقد صارت الانسانية تبحث عن أطراف التجربة التي تجمع خبرتها او التي تبلور جوهرها ، فأصبح للشعر مهمة لا يمكن أن تؤدى بالأسلوب القديم ولا يحصرها التنظيم البيتي المعروف ٠ بل اصبح يتحاشى الوقوع على قوالب الأجداد لأنها توحي بالزيف وتبدد الذات المخلصة للواقع وللعصر، اصبح منطقيا مع صاحبه دون ما نظر الى طريقة الأولين ٠

د ٠ احمد كمال زكي

(٦) يحسن هنا مراجعة هذا الكتاب ١ : ٢١ (ط٠الحلبي سنة ١٣٦٤) وسنرى أن ابن قتيبة يفرض على الشاعر المعاني والصور التي يناسبها كل موضوع من الموضوعات الشعرية التي عددناها ٠



لكي لا ننسى دور الشعر في المعركة القادمة

الشاعر أبو سلمى

بقلم : محمد نصر

منذ بضعة أعوام – ولعله على وجه التحديد عام ١٩٥٩ – قرأت في مقال «بصراحة» للاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام أبياتا من قصيدة لشاعر فلسطيني اسمه «أبو سلمى» اذكر منها :

انشر على لهب القصيـــد
شـــكوى العبيد الى العبيـد
شـــــكوى يرددها الزمـــا
ن غـــدا الى ابد الأبيـــد
قالوا : الملـــوك ! وانهـــم
لا يملكون ســـوى الهبيـــد
دكت عـــروش زنـــو
هـــا بالسلاســـل والقيـــود
ســـــحقا لمن لا يعرفـــو
ن سوى التعـــلل بالوعود
واذلهـــم وعـــــد اليهو
د ولا اذل من اليهـــــود

وكانت تلك القصيدة بالنسبة الى قصيدة يتيمـــة لا أعرف شيئا عنها ، ولا عن صاحبها ، وتمنيت يومها ان أراه واظفر بحديث معه .

ومضت الايام وساقني الحظ لزيارة سوريا في أوائل صيف ما قبل الانفصال ، وشد ما كانت سعادتي عنـــدما عرفت من الشاعر الكبير شفيق جبري ان ابا سلمى يقيم في بيت متواضع باحد الاحياء في دمشق .

وفي اليوم التالي ، اسرعت اليه ، ودار بيننا حديث طويل عرض في اثنائه لمأساة فلسطين ، ولغيرها من قضايا الشـــعر والادب .

ومنذ ذلك الحين كتبت الكثير عن أدباء وشعراء الشام ولكن لم اكتب عن «ابي سلمى» حتى حمل الى البريد اخيرا رسالة من صحفي دمشقي طواها على بضع صور لأبي سلمى ولزوجته ، وكانت الرسالة تفيض بالعتاب لاغفال الكتابة عنـــه ، وهـــو الذي يعتبر عن – جدارة واستحقاق – شاعر فلسطين الاول ، وابنها الوفي ، ومن حقه على الصحافة ان تقاسمه مشاعره لا ان تدير له ظهرها وتتركه نسيا منسيا ، وهو الذي كان ملء العيون والاسماع في بلده .

وتضمنت رسالة الصحفي – الى جانب هذا العتاب – بضعة اسئلة جديرة بالمناقشة ، والبحث لها عن اجابات شافية :

– لماذا توقفت الاقلام التي ظلت تثير الحماسة ضد الصهاينة وتطالب بتطهير فلسطين من آثامهم .. وحتى تفتح الصـــحف ابوابها للدعوة لجيش التحرير الفلسطيني الذي بدأ يستعد لخوض غمار المعركة الفاصلة ، وبالذات بعد ان عادت انظار العالم تتجه الى ارض الميعاد ، وترقب ما ينتظر ان يحدث عقب تحويل روافد الاردن واستغلالها لصالح العرب .

والآن لنمض معا الى قلب الموضوع الذي من اجله كتبت لك هذه المقدمة الطويلة .. تعال الى ابي سلمى لنعرف ماذا وراءه وماذا امامه وما هو دوره في المعركة .

– ان اسمه الحقيقي عبد الكريم الكرمي .

تفتحت عيناه على اجمل بقعة في مدينة طولكرم في عام ١٩٠٧ وامتدت اذناه لتسمعا جدل العلماء وحوار الشعراء في بيت أبيه الشيخ سعيد الكرمي ، الذي كان من اعلام فلسطين ، ومن أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق .

هذا هو الاطار العام ، اما الصـــورة نفسها فتؤكد لكل من يراها انه شاعر خلقته مأساة فلسطين ، وفي قيود الاحزان ، وصرخات الضحايا غنى هذا الشاعر وبكى بمرارة ، فعرفـــه الوسط الادبي لايستلهم الا الثار ، ولا يطالب بغير العودة الى حيفا ، وتطهير كل ركن من اركان بلده الحبيب .

بالزورق هاجرت

ان قصة حياته تقول : انه ما يكاد يبلغ العمر الذي يؤهله للالتحاق بالمرحلة الثانوية حتى يرحل الى دمشق ليتم تعلمه في احدى مدارسها الثانوية ثم يعود الى القدس ليتعلم الحقوق ويحصل على اجازتها ، ويعمل بعد ذلك محاميا في مدينة حيفـــا الى سقوطها في ايدي الصهاينة عام ١٩٤٨ ، ومن حيفا ينزح الى عكا ومنها الى دمشق ليختارها دار اقامة له الى ان يأتي وقت العودة ، وما هو ببعيد .

ويستقر شاعرنا مع زوجته التي تصغره ببضع سنوات وابنهما الذي يتخصص في دراسة الطب ، يستقر الثلاثة في شقة يدفع لمالكها الاصل سنويا – كما قال لي – ١٤٠٠ ليرة ، وبعد فترة طويلة من اقامته في دمشق تصدر وزارة التربية والتعليم قرارا بتعيينه مدرسا باحدى المدارس الثانوية ، ومنها يخرج في عام ١٩٦١ ليلتحق بوظيفة قضائية ما يزال يشغلها الى الآن .

وابو سلمى كشاعر وكمعلم انصرف الى تلامذته في السنوات

الاخرة فلم يؤلف كثيرا ، الا ان ديوانيه « الشرد » ، « واغنيات بلادى » يدل ما قدمه فيهما من قصائد على عقلية نادرة بين شعرائنا .

وحين يلتقى باحد يذوب رقة ، لان فيه اصالة البيئة التى انشأته ، وحين يعود بخياله الى الوراء ، الى الوقت الذى راى فيه الابرياء يقتلون بالجملة ، تراه ينفعل وتطفر الدموع من عينيه .

هذا هو ابو سلمى . . ابن فلسطين المتطلع الى الامام دائما الرجل الذى يقرا «شكسبير» ويحفظ طه حسين ، والزيات ، ويحب شوقى وحافظ ابراهيم .

وابن السابعة والخمسين الابيض الوجه الاصلع الشعر ، الذكى العينين ، ما تزال حيوية الشباب تعمر قلبه .

سألته وكانت زوجته تجلس بجواره :

– وماذا قلت فى ابنة بلادك :

قال وابتسامة حلوة ونظرة . . عاذلة يرسلها الى زوجته :

ابن الشـذى والحلم الزهر
اهكذا حبـك يا اسمر

قلت : وكم انجبت من البنين والبنات ؟

قال : ولدا واحدا يدرس الطب .

– وكيف نجوت واسرتك من خطر الصهاينة ؟

فقال : يوم النكبة خرجت بحرا راكبا زورقا ، وطلعنا على عكا ، ومنها اتيت الى دمشق ، وكان ذلك فى نهاية شـهر نيسان من سنة ١٩٤٨ .

قلت له : وماذا حملت معك من مؤلفاتك ؟

قال : والحزن يبدو فى صوته :

– كما ضعت انا ضاع انتاجى .

سألته : وماذا عن القصيدة التى نشرت الاهرام بعض ابياتها ؟

قال : لم استطع بسبب التشديد بموقف ملوك العرب السابقين ان ازور اى بلد عربى .

قلت : وماذا قلت يومها عن امام اليمن .

قال قلت :

عرج على اليمن السـعيد
وليس باليمن السـعيد
واذكـر اماما ما يـزا
ل يعيش فى دنيـا ثمود

– وفاروق ماذا قلت فيه ؟

قال :

– يومذاك كانت لفاروق لحيـة يضلل بها شعبه وقد قلت فيه :

دع سبحة التضليل واخـ
لع عنـك كاذبة البرود
احسبت ان الملك بالتـ
ـسبيح يطلب والورود

سألته : وماذا تريد ان تقول اليوم لمحبى شعرك ؟

فاجاب :

طال دربى فهل تضىء جراحى
وعلى السفح هل يرف جناحى
قطرات الدم الشعة من قلبى
كانت ولا تزال صبـاحى

فمتى تلتقى مع الشام ارضى
ومتى تلثم البطاح بطـاحى

مع أغنيات بلادى

واذا رجعت معى الى ديوان اغنيات بلادى تلمح فى كل قصيدة لابى سلمى نقدا لاذعا . . وقسوة على من خانوا امانة فلسطين ، واعانوا الصهاينة على تشريد ابنائها ، اسمعه وهو يقول :

قل للذين جنوا على وطنى
ما بيننـا الايام والحقب
من قبلكم مر الطغـاة بنا
هل تعثرون بهم ؟ لقد ذهبوا
عصفت بهم نار مقدسـة
واذا بهـم لجهنم حطب

ويثور ابو سلمى على من يتهم ابناء فلسـطين بالتقصير فى الحرب وحماية الوطن بقوله :

قسمـا بالـفوح انا حملنـا
يا فلسطين فى هواك العذابا
واذا ما سالت عنا اتسبنا
وابينا الا اليك انتسـابا
ما بعدنا عن طيب ارضك الا
زادنا البعـد من ثراك اقترابا
وزرعنا الاشـواق فى كل ارض
ليتهـا انبتت قنـا وحرابا
والتقينا على ملاعبك السـ
ـحة شيبا بعد النوى وشبابا
وسجدنا نقبل الحجر الاسـ
ـود والرمل والحصى والترابا
هذه دارنا فياوحشـة الدا
ر اذا لم تستقبل الغيـابا
لانسل اين اهلها ، فالخيام الـ
ـسود شقت صدر الليالى انتحابا
حسبوا اللاجئين فى كل قطر
وهم بين اهلهـم – الغرابا

الى ان يقول :

فللومهم ، فكيف يغفون يوما
وفلسـطين تقرع الابـوابا

وفى صفحات اخرى :

من ديوان « اغنيات بلادى » ، نجده يلتهب عاطفة واشواقا فهو يناجى ابناء وطنه نجوى محب له معهم ذكريات غالية .

ثم ماذا ؟

لا اعتقد اننى اجاوز الحقيقة اذا قلت ان لقاء شاعرنا الكبير بابناء وطنه ، وعلى ثراه الطاهر ، اصبح قريب المنال بعد ان تغير الوضع فى جميع الدول العربية ، وبعـد ان صـادفت قرارات مؤتمر القمة فى قلوب ابناء العرب ورؤسائهم وملوكهم اروع صدى .

وشكرا لصانع تاريخنـا الحديث رئيسنا عبد الناصر الذى جمع كلمة العرب ، وخلق جيش التحرير الفلسطينى ، وهنيئا لابى سلمى بالامل المرتقب ، وما يوم تطهير الارض المقدسـة ببعيد .

محمد نصر

أخبار

● « اعترافات أبو نواس » ... كتاب جديد لكامل الشناوى ، المؤلف يخصص كل وقته للاطلاع على المراجع والكتابة ، لظهور الكتاب فى اقرب فرصة .

● « عود القصب » ... مجموعة قصصية جديدة للقصاص محمود حسن العزب ، تظهر قريبا .

● « رجال من الريقية » ... الكتاب السابع للشاعر عبده بدوى عن الريقية ، يصدر عن الدار القومية ، ويتعرض بالدراسة لعدد من الكتاب والفنانين والسياسيين فى مقدمتهم الشاعر ليوبولد سيدار سنغور ، والمثال سارد ، والسياسى وليم توبمان ، والدكتور وليم توجوا .

● يقيم نادى القصة ندوة للفنون الشعبية فى مساء الأربعاء القادم الساعة الثامنة مساء وسيقدم الندوة الأستاذ زكريا الحجاوى ويؤدى بعض الفنانين الشعبيين الوانا من فنونهم .

● فى مساء ١٢ يناير تقيم الجمعية الأدبية المصرية ندوة شعرية : يقدمها الأستاذ صلاح عبد الصبور يشترك فى الندوة الأساتذة والدكاترة : محمد محمود الصياد ـ شريفة فتحى ـ احمد كمال زكى ـ عبد المنعم عواد يوسف ـ وفاء وجدى ـ ابراهيم شعراوى ـ كمال نشات ـ ابراهيم الحضرانى ـ حسن فتح الباب ـ محمد الفيتورى ، ويعقب على الندوة الدكتور محمد النويهى .

● وافق الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومى ورئيس المجلس الأعلى للفنون والآداب على تأليف وفد الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر الأدباء العرب ببغداد من الدكاترة والأساتذة :

مهدى علام ـ يوسف السباعى ـ سهير القلماوى ـ محمد مندور ـ رشاد رشدى ـ عبد الرحمن الشرقاوى ـ عباس خضر ـ يوسف ادريس .



الواقعية النقدية ..
هل تتعارض مع مرحلة البناء ؟

لنعرض الآن – ولو مؤقتا – عن تلك الحملات الجوفاء التى يشنها بعض الزملاء فى الصحف والمجلات باسم الجديد الذى يزعمون أنه يصارع قديما ٠

وقد أوضحت فى الأسبوع الماضى أن أولئك الزملاء **ليس لهم جديد يختلف عما يسمونه قديما** يصطرعون معه ، وخاصة اذا كان المقصود بالجديد هو التعبير عن ثورتنا واشتراكيتنا القائمة عن طريق الارتباط بالشعب والانفعال بما ينفعل به والتأمل فيما يجد فى حياته وما يعترض توثبه نحو الأهداف الاشتراكية السديدة ، اذ نلمح فى كلام الزملاء هذا الكلام الطائر العالق بغبار المعركة **ولا نعلم لهم انتاجا أدبيا ينطبق عليه أو يتجه اليه أكثر من انتاج غيرهم ممن يحملون عليهم ، على فرض أن لهم مثله ٠**

لنعرض الآن عن ذلك ، كى ننظر – فى هدوء – فى قضية أكثر نفعا منه ، هى **كيف يعبر الأدب عن الثورة الاشتراكية ويقف منها موقف القيادة الفكرية بوسائله الفنية ؟**

كانت هذه القضية قد اعتملت فى نفسى عندما قرأت مقال الدكتور محمد مندور « الأدب والاشتراكية » المنشور فى « الرسالة » – العدد ٧٣ – والذى يقول فيه :

« ان مرحلة التحول الاشتراكى كان لابد أن تدفع الأدب نحو مواصلة السير فى طريق الواقعية النقدية ، أى نقد الأوضاع التى كانت سائدة فى واقع ما قبل الثورة تعزيزا وتمكينا لاجراءات التحويل الاشتراكى حتى اذا تم هذا التحويل وانتقلنا الى مرحلة البناء ، والبناء لا يشمل ماديات الحياة الجديدة بل معنوياتها الجديدة أيضا – كان من واجب الأدب بل من طبيعته أن ينتقل هو الآخر من الواقعية النقدية الى الواقعية البناءة التى تبحث عن القيم الايجابية الجديدة التى لابد أن تنبع من التغيير الثورى الذى حدث فى حياتنا بدلا من البحث عن مفاسد ومظالم العهد البائد أو الرواسب التى تخلفت عنه » ٠

اتفق مع الأستاذ مندور فى ضرورة أو حتمية انتقال الأدب من تناول مفاسد العهد البائد الى الذى حدث فى حياتنا من تغيير ثورى ، وقد سبق أن ناديت بذلك غير مرة ٠ ولكنى اختلف معه فى عدة نقاط تجتمع فى أمر واحد :

١ – لا ينبغى أن يدع الأدب الرواسب المتخلفة عن العهد البائد ، لأننا لم ندعها بعد ولا تزال فى واقعنا ٠

٢ – الواقعية النقدية ليست شيئا مغايرا للواقعية البناءة ، فالميثاق مثلا حينما يدعو الى النقد والنقد الذاتى انما يقصد الى أن يستخدم النقد فى البناء ، عن طريق تبين الأخطاء فيما وقع وتجنبها فيما يأتى ٠ **فالواقعية النقدية حين تسلك السبيل الذى يسلك فى هدم المبانى الآيلة الى السقوط على ساكنيها كى تبنى فى أماكنها بيوتا جديدة – لا تكون الا واقعية نقدية بناءة فى وقت واحد ٠**

٣ – لا ينبغى أن يكون هم الأدب كله هو البحث عن القيم الايجابية الجديدة ٠ فانى أعتقد **أن الرسالة العظمى للأدب فى الوقت الحاضر هى تصوير الصراع بين القيم الايجابية والقيم السلبية التى تصطرع الآن فى حياتنا** ، اذ تحاول الأولى أن تتخلق ، وتحاول الثانية أن تعوقها ، بل تتغلب عليها فى بعض

الزوايا المعتمة ، ومهمة الأدب أن يسلط الضوء على هذه الزوايا ويكشف ما يجرى فيها .

والأمر الواحد الذى يجمع كل ذلك هو **أن الأدب ليس من طبعه ان يتخلى عن النقد ، لأن النقد هو عمله بطريقته الخاصة** . والأدب كله نقد فى نقد .. فهو اما نقد الحياة واما نقد « نقد الحياة » - الأول هو الأدب الابداعى ، والثانى هو ما يسمى بالنقد الأدبى

والدكتور مندور يدعو الى أن يقود الأدب والأدباء الأحداث بدلا من أن يسيروا فى ذيلها ، ولكنه يتساءل طبقا لما قرره من الفصل بين الواقعية النقدية والواقعية البناءة : هل تتحقق القيادة عن طريق ابراز كل اعوجاج او اهمال أو فساد قد يتطرق الى بعضنا ام يكون عن طريق البحث عن مواضع الثقة والأمل والاستقامة عند بعضنا الآخر ؟

وطبقا لما رأيناه من أن رسالة الأدب العظمى هى تصوير الصراع بين القيم الايجابية والقيم السلبية - يكون ذلك التساؤل غير ذى موضوع .

والدكتور يشعر بذلك فيقول بعد تساؤله المتقدم: **« وانا لسوء الحظ اعلم من تاريخ الآداب العالمية أن الأدب الناجح أو الأكثر نجاحا قد كان دائما الأدب الصادر عن نقد الحياة . واما الادب الذى يتغنى بالحياة ويشيد بنواحيها الايجابية فلست أدرى لماذا تقل الاستجابة له » .**

واذا كان الأمر كما رأينا فليس ثمة « سوء حظ » وليس فى المسالة مالا يدرى أو ما يخفى ، فان الأدب القاصر على التغنى والاشادة لا يؤدى عمله ، وشعور الناس بانه يهمل وظيفته النقدية يصرفهم عنه .

على أن تقسيم الأدب الى ما ينقد الحياة ، ومايشيد بها ، عملية تحتاج الى نظر .. ففى أشد الاحوال سوءا نرى الأدب الناجح الناقد للسوء لا يخلو من عنصر ايجابى يبعث الأمل ، وفى أكثر الأحوال استقامة واتجاها الى القيم الايجابية لا ينبغى ان يخلو كذلك من العناصر المعوقة . **والحياة لم تخل ولن تخلو أبدا من العنصرين .. هكذا خلقت !**

ونأخذ مثلا على نجاح الأدب الناقد للحياة واخفاق غيره - الأدب الروسى . كان النوع الأول يتمثل فى أدب ما قبل الثورة ، أدب تولستوى وتشيكوف ودستوفسكى وأمثالهم . فلما جرد الأدب من سلاحه او عطل عن وظيفته بعد الثورة ولم يلتفت الا الى القيم الايجابية وما يسمى بناء نزل عن مستواه السابق او قل اصبح لا ادبا .. أصبح خطبا ودعاية ، وقلت الاستجابة له . ولم يكن ذلك لأن الشعب اقفر عن أن ينجب مثل السابقين ، بدليل ان الحال تبدلت أخيرا **وصرنا نرى أدبا روسيا حديثا ناجحا لأنه عاد الى نقد الحياة .**

المدرسة الحديثة

وابراهيم أغا !

كنت عازما ان أكتفى بالكلمة الوجيزة التى عقبت بها فى العدد الماضى من « الرسالة » على مقال بعنوان « **حديث عن المدارس الادبية والمذاهب الفنية** » قولنى فيه صاحبه ما لم اقله وراح يصول فى مناقشة ما قولنيه ..

ولكنى تذكرت حكاية مما يتندر به عن عقليات معينة تأبى أن تتفتح لوعى ما يقوله الغير .. **هى حكاية ابراهيم أغا .**

قلت فى مقال « **ظاهرتان فى دراسة أدبنا الحديث** » - العدد ٧٢ من الرسالة - ان أعمالا ادبية واقعية كثيرة ، ودعوة الى المذهب الواقعى ، ظهرت فى الربع الأول من القرن العشرين (**لم أقل ان الربع الأول كان واقعيا صرفا .. كما قولنى كاتب المقال**) وصدرت تلك الأعمال عن عدة أدباء أطلق عليهم اسم «**المدرسة الحديثة**» وظلت «**المدرسة الحديثة** » تكتب القصص الواقعية وتدعو الى المذهب الواقعى فى نحو عشر سنين من الربع الأول للقرن، خلافا لما زعم هو من أن الواقعية انما **بدأت فى** الربع الثانى . وجعلت أكرر كلمة « **المدرسة الحديثة** » و « **مذهب الحقائق** » - كما كانوا يسمون الواقعية فى ذلك الوقت - ولكن الكاتب الفاضل ابى الا أن يغلق وعيه ازاء اسمى « **المدرسة الحديثة**» و « **مذهب الحقائق** » اللذين ترددا كثيرا فى الربع الأول من القرن على أقلام رجال ما زال بعضهم أحياء - أطال الله فى أعمارهم - واصر على أن يقول: « ومن نافلة القول أن أقرر أن كون هذه الفترة فترة رومانسية لا يمنع من وجود بعض المذاهب الأدبية الأخرى .. التى لم يرتفع صوتها الى مستوى المذهب .. » .

هكذا قال .. وهو يقصد « **المدرسة الحديثة** » و « **مذهب الحقائق** » ولا أريد أن أسأله : كيف تكون « **مذاهب** » ولا ترقى الى مستوى « **المذهب** » .. فأمثال هذا الخبط كثيرة فى مقاله والسؤال عنها لا ينقضى .

انما اكتفى بحكاية **ابراهيم أغا** ، وهى كما يلى :

كان « الشيخ على » يتردد على دار ابراهيم أغا كل صباح حيث يقرأ « سورة » وكان ابراهيم أغا يقول له دائما ويردد قوله :

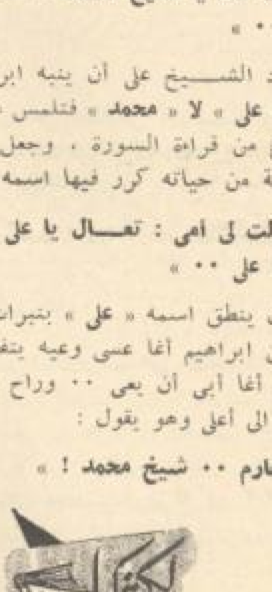
« **الله الله يا شيخ محمد .. أحسنتم يا شيخ محمد ..** »

وأراد الشيخ على أن ينبه ابراهيم أغا الى أن اسمه « **على** » **لا** « **محمد** » فتلمس مناسبة ما ، بعد أن فرغ من قراءة السورة ، وجعل يحكى لابراهيم أغا قصة من حياته كرر فيها اسمه بمثل :

« **قالت لى أمى : تعال يا على .. وقال أبى روح يا على ..** »

وكان ينطق اسمه « **على** » بنبرات بارزة ليثبته فى ذهن ابراهيم أغا عسى وعيه يتفتح له .. ولكن ابراهيم أغا أبى أن يعى .. وراح يتحسس شاربه ويبرمه الى أعلى وهو يقول :

« **عفارم .. شيخ محمد !** »



● سألنى صاحبى : ما موقفك من المعركة بين الشعر التقليدى والشعر الجديد ؟

قلت : **لست من القائلين بحتمية الشعر التقليدى ، ولست من خصوم الشعر الجديد ، أنا أحب الجيد من النوعين ، وأرحب بكل تجربة جديدة .**

قال : ففيم حملتك على فريق الشعر الجديد ؟

قلت : لست أحمل على الشعر الجديد ، **انما الحملة على استغلال المعركة الحقيقية بين الشعر التقليدى والشعر الجديد فى خلق معركة وهمية هدفها مآرب أخرى .. شخصية ولا قومية .**

قال : الست معى فى أنك لا ترضى هؤلاء ولا هؤلاء ؟

قلت : **بلى ، معك .**

وأضفت : **محنتى أنى قديم عند أصحاب الجديد .. وجديد عند أهل القديم ..**

● أقامت الجمعية الأدبية المصرية حفل تكريم **للأستاذ محمد فريد أبو حديد** رئيس شرفها ، بمناسبة منحه جائزة الدولة التقديرية فى الأدب هذا العام . وقد تبرع الأستاذ الكبير للجمعية بمائة جنيه ، ولما روجع فى ذلك قال : **ان هذا ليس تبرعا ، انما هو اشتراكى فى الجمعية مدى الحياة .**

أضاف الأستاذ أبو حديد بذلك – الى رعايته الأدبية للجيل الممتد – هذه الرعاية النبيلة الكريمة.

● كانت فرصة طيبة ، تلك التى أتاحها لنا **المكتب الثقافى بمحافظة الدقهلية** للالتقاء بزملاء من الأدباء فى المنصورة . وقد حفل « مدرج ابن نعمان » بجمهور لا عهد لنا بمثله فى الندوات الأدبية بالقاهرة ... وحمى الوطيس بين **الأستاذ** على أحمد باكثير – مؤلف مسرحية «**هاروت وماروت**» موضوع المناقشة – وبين قرائه هناك . وبمثل سحر هاروت وماروت امتلك باكثير الموقف **وأثبت أن التراث العربى الذى كتب من وحيه هذه المسرحية خير ما يتحرك منه الأديب لبث القيم الانسانية الخالدة .**

كنا فى طفولتنا نمر أمام « **المركز** » ونرتعد .. والحمد لله على أنا عشنا ورأينا رجال « **المحافظة** » أدباء ومفكرين يديرون الندوات الأدبية ويلتقون مع الجماهير كى يقدموا لهما ما نتطلع اليه من الطعام الفكرى المرىء ..

● تصدر قريبا مسرحية جديدة للأستاذ على باكثير بعنوان « **حبل الغسيل** » وهى مسرحية عصرية باللغة العربية الفصيحة ، يتناول فيها المؤلف بالنقد والتحليل شخصيات تعيش وتعبث الآن فى حياتنا الأدبية والفنية ، أو قل يضفى ملامحها واتجاهاتها على شخصيات المسرحية ، وبعضهم من ذوى النفوذ فى المسارح ولجان الفحص.

والسؤال المهم هو : **هل ستعرض المسرحية على أحد المسارح ؟!**

« **عباس خضر** »

حول الأدب فى أسبوع

بقلم عبده بدوى

حول مذكرة الشعر

اذا كانت معركة «مذكرة الشعر» قد هدأت، واذا كان الشعراء من اشد الفنانين اثارة، فان من الواجب ان ننظر فى فترة «الهدوء» هذه الى المسائل بمعقولية وبنظرة قريبة من روح الانصاف !

وان نظرة من جديد الى المذكرة ــ مع انها لاتخلو من المآخذ ــ توضح انها ما كانت تستحق كل هذا الصراخ ، وما تلا ذلك من اجتماعات ، ومقابلات ، وصليل سلاح، ولكن هذه المذكرة كانت فرصة للذين يحاولون ان يؤكدوا بعض المفاهيم السياسية، والذين يحبون أن ينسفوا كل محاولة للالتقاء الواعى بين المثقفين، والذين يريدون الوصول الى بعض المناصب والذين يتوهمون ان الضغط على الشعر المتجدد هو ضغط على انفاس الحضارة العربية نفسها ، والذين يخدمون اغراضا مشبوهة تستند الى بعض المنظمات الثقافية ، والذين يرون أن فى عملية اللقاء نفسه فائدة مهما يترتب على هذا اللقاء .

ولكنا حين نفكر فى الحصاد الذى انتهى اليه الحديث عن الشعر فى الفترة الاخيرة ، نجد ان العقم هو الذى كان فارس المعركة ، ونجد أن الغبار والمرارة لم يستقرا فى وجه احد وقلبه مثلما استقرا فى وجه الشاعر وقلبه .

ونحن نستطيع الآن ان نتخيل الشعراء حين يقابل بعضهم بعضا ، وكيف ان الصورة لن تتم الا حين يقطب وجه فلان فى وجه فلان، وحين تتصاعد كلمات قاسية فى نفس فلان بنفس الغليان الذى تخرج به من نفس فلان .. نستطيع أن نتخيل هذا وفى الوقت نفسه نستطيع ان نؤكد ان هذا الشقاق لا يحدث بهذه الضراوة فى أى حقل من حقول الادب والفن ، ولعل هذا يعطينا شيئا من السر الذى يجعل أوراق شجرة الشعر تذبل ثم تسقط ثم تموت وهى فى قلب الربيع ، ونضارة الحياة !

وان قراءة ثانية لمذكرة الشعر توضح انه ما كان يجب ان تأخذ طريقا غير طريق الكلمة المناقشة الهادئة بين افراد الأسرة الواحدة ، ونحن نتساءل الآن : هل ناقشنا شيئا على المستوى السياسى والاجتماعى بمثل هذا الحماس ، وهل دعيت جمعية الادباء لمناقشة الميثاق مثلا ؟ وهل طالب الذين وقعوا على المذكرة بمناقشة شىء آخر غير موضوع

المذكرة ، ما عدا تلك المذكرة المرفقة التي اشار بمحتواها يوسف السباعي على الدكتور لويس عوض حتى لا يظهر التباين الواضح في الخارج بين الحديث عن التغيير والتطوير ومحاولات التغلب على مشكلات التطبيق ، وبين الحديث عن الشعر المتجدد وشعر التفعيلة بين المثقفين .

ولقد اديئت اشياء كثيرة في عملية التوتر هذه فقد كانت فرصة للهجوم على المجلات ، ولغمز بعض الفلسفات، وللتعريض بماضي الادباء، ولتجريح بعض الشخصيات ، بل لقد كانت فرصة للنزول الى المعركة بكافة الاسلحة ، فكلمة «الاطار الثابت» التي حولت الى نكتة في الوسط الادبي ، كانت تعقبها مباشرة كلمة « وماهذا الاطار الثابت الا مجموعة القيم التي يتواضع ابناء الامة الواحدة على ان يقيسوا امورهم بها قياسا يتسم بالمرونة الحية».

وكلمة الخطيئة في الاسلام تختلف جوهريا عن كلمة الخطيئة في المسيحية .

والقول بان الانحراف في شكل دون شكل قول لا يمكن قبوله ، والدعوة الى استيحاء الرموز الاسلامية والافريقية لا يمكن حمله على انه دعوة ضد استيحاء الرموز المسيحية مادام الشعراء واقعون الآن في هذه الدائرة ، والقول بان يوسف الخال يحاول كتابة الشعر من جديد من وجهة نظر مسيحية لا يستلزم أن ينادي بها ناقد هنا، مؤكدا بان هذه الايديولوجية هي التي يجب أن تسود الشعر المعاصر ، والقول بان الحماس لشعر التفعيلة يستدعي الالغاء التام للشعر المتجدد قول قد يبدو مضحكا ولا اعرف شاعرا او ناقدا يحترم قلمه ثم يقول بمثل هذا القول .

***

والسؤال الآن : هل كانت لجنة الشعر مخطئة حين تعرضت لمفهوم الدين والقومية في المذكرة ؟

انا ازعم لنفسي ان اقول انه من البدهيات ان شعر التفعيلة كشكل فني لا يمكن ان يسوق الشاعر الى الانحرافات الدينية والقومية ، وان الشعر المتجدد يمكن ان يحمل هذه المضامين بل لقد حملها في ماضيه بعنف وبحقد ، وبالرغم من انه بالتحديق في وجوه الذين حملوا هذه المضامين نجد انهم في اكثرهم من الشعوبيين الحاقدين على العرب مثل بشار ، وابو نواس، ومهيار الديلمي، وبعض الشعراء السود مثل سحيم ، والحيقطان الحبشي ، وعكيم الحبشي .. اقول انه بالرغم من كل هذا فان شعر التفعيلة مليء بهذه الانحرافات الدينية ، والقومية ، بل لقد وصل به بعض الشعراء الى حد الميوعة والتخنث حين تكلموا عن عمليات اغتصابهم كالنساء !

فالشكل المتجدد مع انه عاش ما يقرب من الفي سنة الا انه في تاريخه كله لا يمكن ان تسمع فيه ما قيل في هذا العصر في موضوع واحد كموضوع الاله مثلا ، فالله في شعر التفعيلة مكبل يبصق في عيونه الشرطي واللوطي والقواد ، ومعلق على المقصلة ، ومسجون ، ومحترقة ستائره ، وجدار يسد العين، وهو الثلج ، وكافر من يقول لا اله الا هو كما في قصيدة بعنوان «الحلاج وبئر المسرة » والشعر الجديد مليء بالرموز التي تدين العروبة ، والاسلام والوحدة ، ومصر .. الخ بما لا يدع مجالا للشك !

ولعل من الانصاف أن نذكر ان هذا الحديث على مستوى الوجود العربي ، وان شعراء التفعيلة عندنا ــ وبخاصة الظاهرين منهم ــ لا توجد عندهم هذه الظاهرة الحادة ، فهم يصلون الى حد التمرد ولكنهم لا يجاوزونه الى حد الرفض، وهم قد ينسحبون الى الملل والتمزق واجترار الرموز المسيحية ولكنهم يحولون كل هذه الاشياء الى شعر ، بل انا ننتظر منهم الشاعر العظيم الذي يعبر عن اشواق امته ، وعن افراح الحياة من حوله ، وعن الاحتكاك بالكون، وعن اشياء كثيرة لاتزال تنتظر الشاعر العظيم !

وليس معنى هذا ان الذين يقولون الشعر المتجدد يقبل كل ما يقولونه ، فعندنا من الشعراء من تقف تجربته عند حد التعامل مع الالفاظ ، ومن يقول اشياء لا تمت الى الانسان المعاصر باية صلة ، ومن لا يريد ان يعترف ان الشعر اصبح بناء جديدا بالصور من خلال رؤية عميقة للحياة ، واحساس بالمعاصرة في كل نبضة وكل حرف من خلال توتر مهندس يعرف أوله من وسطه من آخره ، وان الشعر لا ينبغي ان يقف عند تقاليده ، وانما عليه ان ياخذ الكثير من الفنون التشكيلية والتعبيرية ، بل لا ينبغي أن يقف عند حد القصيدة الغنائية وانما يجب ان يتعداها الى المسرحية والملحمة ، والالتحام مع الموسيقى في الاوبرا ، ومع النثر في الاوبريت .

***

واعتقد أن هذا لن يتحقق الا اذا وقفنا على ارض صلبة من التراث، وفتحنا نوافذنا على كافة الثقافات دون ان نسمح لاحداها بان تعصف بنا ، وتقبنا نحن

عن رموزنا بدلا من تلك الرموز الجاهزة التى يلح البعض فى اظهارها فاذا هى اسماء دواوين ، وآيات توضع تحت عناوين القصائد دون أن تمت الى القصائد بصلة ، وترجمة تقحم على القصيدة مع ان طبيعة التجربة قد تأباها فى نفس القصيدة ، ومع ان الشاعر يجب الا تصادر تجربته ، وعليه ان يمد لهفته الى الزاد الذى يريد ما دام يحول كل ما يحس به الى شعر ، ولكن من الواجب ايضا أن يفكر لماذا تمتد اليه يد واحدة دون الايدى الاخرى بالقوت ، ولماذا لا يجهد نفسه فى التنقيب عن هذا الذى يغذى روحه ، بدلا من أن يصبح « داجنا » يقبل على الطعام بنفس الحماس الذى يقبل به على الدخول فى القفص!

ان الدعوة الى الا يقتصر الشاعر على ميراثه من الشعر تعتبر دعوة تقدمية ، ولكن حين يرفع واحد صوته على استحياء بان على الشاعر الا يأخذ رموزه من دين واحد بل من كافة الاديان ، ومن المعتقدات عند بعض القبائل الافريقية ، بل ان عليه الا يلتفت الى رموز هذه الاديان جميعا بالصورة التى تشغله عن الحياة من حوله .. حين يقول واحد هذا ، تتعالى الاصوات بالخوف من الخوض فى مسائل الدين ، ويرتعش البعض الى حد الذعر كان هناك مناطق مقفلة فى الفكر لا يمكن لأحد ان يمد اليها سن قلمه ، وانى لأتصور الجزع الذى يمكن أن يرتسم على وجوه بعض اساتذة الجامعة ، حين يذهب طالب لتسجيل موضوع لدرجة الماجستير او الدكتوراه بعنوان الرموز المسيحية فى الشعر ، او امكانيات الرموز الاسلامية فى الشعر ، مادام البحث سيدور فى حدود المنهج العلمى ، ولكنه الخوف الموهوم الذى يشل جانبا كبيرا من حياتنا ، ولعله الذى حمل البعض فى عتاب لجنة الشعر لانها دعت الى ما اسمته « **الروح المميزة لشخصيتنا الفنية على مدى العصور** ».

والذى نحب أن نطمئن به الذين شغلوا بهذه القضية التى أثرتها فى مقالات متتابعة بالرسالة قبل مذكرة الشعر ـ وفى مقدمتهم الاستاذة الدكتورة بنت الشاطىء ـ ان كل كلمة قيلت فى هذا الموضوع كانت عن دراسة متأنية، وانها لم تكن التقاطا لكلمات أو لشواهد جزئية ، وانما كانت بحثا هادئا بعيدا عن الحقد والخوف فى الوقت نفسه ، ولا زلت أرجو لهذا الموضوع تعميقا من اكثر من قلم ، بل لا زلت أؤكد ان هذه الفقرة الخاصة بهذا الموضوع فى مذكرة اللجنة كانت الفقرة الموضوعية التى تعتمد فى الانتاج الحديث ـ على المستوى العربى ـ على الف دليل ودليل !

وفى ضوء هذا نرجو للشعر مزيدا من الازدهار ، ومزيدا من المناقشات على الا يتحول كل هذا الى ما تحول اليه موضوع المذكرة من خلط وتماسك بالارواح والاقلام !

ضربتان على الرأس !

فى الاسبوع الماضى وجدتنى احرك «مؤشر» الراديو ثم اقف فى سرعة حين يعلن المذيع انه سيقدم برنامجا عن نيجيريا بعنوان فى الطائرة رقم ٧٧٧ من اعداد واخراج على فائق زغلول ، واصغى لحظات فاذا بحديث يدور بالعامية عن الحياة هناك ، ثم اذا نقلة مباشرة بالحوار الى ثلاثة مشاهد من كتابى « مع شعوب أفريقية » ، وبين كل مشهد ومشهد يدور حديث بين اثنين عن اشياء كثيرة فى نيجيريا لا اريد ان اتعرض لها هنا بالحديث ، ولكن الذى احب ان القى عليه الضوء هنا هو الاخذ من كتابى بالصورة التى تم عليها ، ولقد دفعنى هذا الى أن اتناول نسخة من كتابى ، ثم اتابع ما يذاع فقرة فقرة فاذا به ما كتبت كلمة كلمة ؛ وقد بدأت هذه المراجعة ابتداء من الحديث الذى جعلته يدور بين أوكبارا الافريقى ، وعالمى الآثار جودوين وريتشارد فى اللحظة التى يحمل فيها أو كبارا احد الآنية .

جودوين ـ يا لله . انه دقيق الصنع

اوكبارا ـ هل هو هام كتماثيل الرجال والنساء التى عثر عليها ؟!

جودوين ـ ان كل شىء نعثر عليه فى هذه الحفريات هو احتجاج على العصر

ريتشارد ـ احتجاج .. هذه كلمة غريبة !

جودوين ـ بل ان افريقية تحتج الآن على كل الذين جردوها من ماضيها .

ريتشارد ـ مازلت انكر ان لافريقية ماضيا .

جودوين ـ ماضيها امام عينك الآن . وليس لأحد ان ينكر عليها امجادها .

ريتشارد ـ اية امجاد ياسيدى الأستاذ .

جودوين ـ ان هذه الكشوف مع بقية الكشوف الاخرى تؤكد ان هذه المنطقة عرفت الاستقرار السكانى قبل ٣٠٠٠ سنة ق.م

ريتشارد ـ اليس فى هذا مبالغة ؟

جودوين ـ العلم يقول كلمته الحاسمة .

اوكبارا ـ سيدى الاستاذ .. وماذا حدث فى بلادى بعد ذلك ؟

جودوين ـ حدث انها تأثرت بهجرات تشبعت بالحضارة الفرعونية

اوكبارا ـ وفى اى مكان كانت هذه الحضارة ؟

جودوين ـ يغلب على ظنى انها متأثرة بحضارة «كوش» فى طرف مصر .

اوكبارا ـ وما الذى يجعلك تميل الى هذا الرأى ؟

جودوين ـ أشياء كثيرة ، منها اعتقادهم بأن الكبش هو رمز آمون

اوكبارا ـ ان المعروف عندنا أن اله «اليوروبا» كان يظهر بقناع كبش ، وان اله العواصف والرعود كان كذلك على هيئة الكبش .

جودوين ـ نعم .. والرقائق التى كانت توضع على صور الكهنة فى اليوروبا تذكرنا بنماذج لها فى مصر الفرعونية ، ثم ان الناس هنا عبدوا الشمس ، واعتقدوا ان الارواح مخلدة وانها حين تغادر الجسم تعود الى الشمس

اوكبارا ـ سيدى الاستاذ : انك تسلمنى تاريخ نيجيريا

ريتشارد ـ انه تاريخ الحضارة الفرعونية

اوكبارا ـ ان تاريخ الفراعنة تاريخى .

جودوين ـ ان تاريخ الانسان كله ملكك يا اوكبارا .

اوكبارا ـ ولكنى احس الآن ان قامتى ارتفعت ، ان القارة التى كانت ميتة فى جنبى قد اخذت تدق كالقلب ، ان كل شىء فيها يخضر الآن .. يزهر .. يعطى ثمرا .

.. وتستمر هذه المحاورة بنصها واخطائها المطبعية ، ثم تستمر محاورة اخرى تستغرق عدة صفحات ، وهى التى وضحت فيها دور « عثمان دان فوديو » فى الرقعة النيجيرية الكبيرة .. وينتهى البرنامج دون اية اشارة الى كتابى ، وتتم الضربة الاولى .

وفى يوم الخميس الماضى افتح مجلة صباح الخير واذا بى أجد خبرا يقول: سليمان جميل الف مسرحية اسمها الارض العالية سيقدمها مسرح الحكيم ويقوم باخراجها حسين جمعة ، وهذه اول مرة يؤلف فيها سليمان جميل نصا مسرحيا ، وليس موسيقى مسرحية ، ولما كنت ـ والله ـ مؤلف مسرحية الارض العالية ، ولما كان الموسيقى سليمان جميل لا يقول الشعر ولا ينوى ان يقوله فلا اكتم انى شعرت بالمرارة عند الضربة الثانية .

وقد كان يمكن الا اعلق على شىء من هذا لو حدث فى فترتين متباعدتين ، ولكنه تم فى اسبوع واحد .. تمت ضربتان على الراس فى اسبوع واحد ! ولست اعلم ما ستجىء به الايام المقبلة .

عبده بدوى



رسالة العلم

المطاط

بقلم : أحمد سعيد الدرداش

تمهيد :

لاحظ خريستوف كولومبوس اثناء رحلته التاريخية لأمريكا الجنوبية والوسطى ، ان الهنود الحمر يلعبون بكرات سوداء ، ترتد ثانيا عند اصطدامها بالارض مرات عديدة ، كما لو كانت تنبض بحياة كامنة فيها ، فاشتد به العجب مما حفزه الى نقلهـا معه الى اسبانيا ، فاثارت كثيرا من الدهشة والغرابة .

وكان الهنود الحمر يضعون العصير النباتي الذي يسيل من الاشجار بعد جرحها ، حول ارجلهم او حول قالب مصنوع على شكل دورق ، ثم يتركونه ليجف ، وتعاد هذه العملية مرارا حتى تتكون فيها طبقة سميكة من المطاط ما اشبهها بحذاء يقي ارجلهم من الماء ، او بدورق تحفظ فيه السوائل من خمور او مياه .. وكذلك كانوا يستخدمون سائل المطاط الطازج في لصق ريش الطيور الملونة في اطار من الجلد يلبسونه فوق رؤوسهم زينة لهم في اعيادهم وحفلاتهم .

ثم انتقلت هذه المادة الى اوربا ، كما انتقل كثير غيرها من طريق القرصنة او التجارة ، وابتدأ القوم هنـاك يستغلون خصائصها في استنباط صناعات جديدة منها ، فرسبوا المطاط حول اسطوانة من الشمع ، ثم اذابوا الاخير في الماء الساخن فحصلوا بذلك على انابيب من المطاط .

وتوصـل الكيميائي بريستلى (مكتشف الاوكسجين) الى ان المطاط له خاصية محو الكتابة بالقلم الرصاص اذا مسحت قطعة منه بها ، ومن ثم كان اشتقاق لفظ المطاط باللغة الانجليزية وهو Rubber من الفعل Rub

اما الهنود الحمر فقد كانوا يطلقون اسم (كا او تشو) على شجرة المطاط ، ومعناه بلغتهم الشجرة الباكية ، ذلك لان سائل المطاط يسيل منها على شكل قطرات من الدموع بمجرد جرحها ، ومن هذا الاسم اشتق لفظ الكاوتشوك في كثير من اللغات .

ولم تنتشر صناعة المطاط في ذلك الوقت اللهم الا في عمل الامتعة الماكنتوش الشهيرة الواقية من المطر . وصنعت هـذه الامتعة باذابة المطاط في مذيب عضوى يتشبع به القماش ، ويترك برهة حتى يتبخر المذيب ويترسب المطاط بين الاليـاف طامسا مسامها .

غير ان انتشار صناعة المطاط كان يسير بخطوات وئيدة لعدم ثبات صفاته المرنة باختلاف الأجواء ، ففي الشتاء يصبح صلبا سريع التكسر ، وفي الصيف يمسى لزجا كريه الرائحة .

واخيرا في أواخر القرن الماضي توصل شـارل جوديير في امريكا الى العثور مصادفة على نتائج غاية في الاهمية عندما اضاف الكبريت الى المطاط ثم سخن الخليط لدرجة ١٤٠ مئوية فحصل بذلك على نوع من المطاط يمتاز بالمرونة ولا يتاثر بالبرودة او الحرارة ، وقد سميت هذه العملية بالفلكنة نسبة الى فلكان اله النار ، وتعرف بالعربية بعملية الكبرتة نسبة الى استخدام الكبريت فيها .

وكان هذا الاكتشاف مولدا لانطلاقة جديدة في تصنيع المطاط فانتشر استخدامه في شتى الصناعات الانتاجية ، فالقلم الذي نكتب به يحتوى على انبوبة من المطاط ، والسيارة التي نركبها تحوى مئات من القطع الصغيرة والكبيرة ، وخراطيم المياه ماهي الا مادة المطاط المقوى بألياف النيل ، والطائرات او الدبابات

او البواخر اذا امعنت النظر فى مكوناتها لا تلبث ان تجد فيها قطعا من منتجات المطاط . كذلك الحال فى لعب الاطفال والاجهزة العلمية ، والالعاب الرياضية والملابس الواقية من المطر والحقائب وغير ذلك .

وكذلك خطت الصناعة خطوات كبيرة نحو تسهيل عملية الفلكنة ، فاستحدثت - نتيجة للبحوث العلمية المتواصلة - مواد كثيرة تساعد على سرعة اتمام هذه العملية وخفض درجة الحرارة التى تتم فيها ، ومثل هذه المواد الحفازة هى اكاسيد الرصاص والمانيزيا والجير . كما يضاف اكسيد الزنك لتنشيط المواد السابقة ومنع اكسدة المطاط بالهواء الجوى .

كذلك توجد مواد لتقوية المطاط المفلكن مثل السناج وكبريتات الباريوم والكاولين . والمادة الاولى (وهى اسود الكربون) هى افضلها جميعا ، اذ تكسب المطاط مقاومة عظيمة ضد الاحتكاك ولهذا نراها فى اطارات السيارات كما توجد ايضا بعض مواد خامدة تستعمل كمالئة للمطاط فتعمل على خفض تكاليف تصنيعه، وتعمل فى الوقت نفسه على سهولة تشكيله . وبعض امثلة لهذه المركبات هى كبريتات الباريوم وكربونات الكلسيوم والطفل الدياتومى الموجود فى الطبيعة بحالته البدائية وهو موجود عندنا فى طريق الفيوم كما يلون المطاط بملونات حمراء مثل كبريتيد الانتمون . اما اكسيد الزنك واكسيد التيتانيوم فهما من الملونات البيضاء . كما يلون المطاط بملونات اللاكات ذات المظهر الخلاب اللامع . كما تضاف مادة القلفونيا وحمض الاستياريك والشمع وزيت البرافين لاكسابه نعومة خاصة .

وجود المطاط واستخلاصه

يوجد المطاط فى الطبيعة شرابا ابيض اللون داخلا فى عصير بعض الاشجار التى تنمو فى المناطق الاستوائية ، واهم هذه الاشجار نوع يقال له شجرة هيفيا البرازيلية التى توجد بالبرازيل والملايو واندونيسيا وسيلان وغرب افريقيا ، علاوة على الانواع الاخرى التى تعطى اصنافا اقل جودة ، وتنتشر فى الهند وبورنيو والهند الصينية وسيام وبعض اجزاء اخرى متفرقة فى افريقيا مثل كينيا .

ويستخلص المطاط الخام من العصير النباتى بقطع الشجرة فى الصباح الباكر كما هو موضح بالشكل فيسيل العصير النباتى ويجمع فى اوعية خاصة يحفظ فيها باضافة النوشادر اليه وبعد وصول هذا السائل الى المصانع يضاف اليه حمض الخليك فيتجمد المطاط الخام من السائل ويطفو على سطحه ، فيرفع ثم يضغط على شكل الواح لينة مطاطية Lotex كما فى الشكل

واحيانا تستخدم طريقة بدائية فى استخلاص المطاط من العصير النباتى ، بغمس ساق خشبية فيه ، ثم تعريضها لدخان ناتج من حرق اخشاب بعض النباتات الخاصة كشجرة الأوريكورى ، فيترسب المطاط فى طبقة رقيقة على الساق ، وتتكرر هذه العملية عدة مرات حتى تتكون كرة كبيرة تزال وتضغط على شكل الواح



وكان من المعتقد ان المطاط الناتج من هذه الطريقة اجـود من الانواع الاخرى ، ولكن ثبت حديثا عدم صحة ذلك ٠

وقد اجرت وزارة الزراعة عدة تجارب واسعة النطاق في برج العرب ومحطة جاناكليس بابي المطامير لزراعة اشجار المطاط . واختيرت لذلك نباتات حولية كنبات كوكساكس وكرمساكس ، ففي الحرب العالمية الثانية اضطرت روسيا وانجلترا لزراعة المطاط مهما كانت التكاليف ، فزرع نبات الكوكساكس في شمال روسيا الكرمساكس في كينيا ، ولكن بمجـرد انتهاء الحـرب وقفت زراعة المطاط مؤقتا لرخص المستورد من البلاد الاصلية المنتجة ولتفضيل محاصيل اخرى اكثر اهمية ٠

اما تجـارب وزارة الزراعـة عندنا ، فقد اثبتت نجاحا كبيرا لملائمة البيئة والجو ، وحصلت الوزارة على اشجار مطاطية تحوى نسبة كبيرة من المطاط ، واثبتت التحاليل الكيميائية جودة هذا المطاط الناتج منها ٠

المطاط المخلق

اثناء الحرب العالمية الاولى حاصر الحلفاء ألمانيا حصارا عنيفا لمنع تسرب المواد الاستراتيجية اليها ، ومنها المطاط احد دعائم الحرب الميكانيكية ، فاتجهت المانيا الى علمائها الكيمائيين لعلهم يجدون بديلا لهذا المطاط بتخليقه في المعامل من عناصره الاولية ولم تخيب شركة باير الالمانية الظن ، وتوصل علماؤها وباحثوها الى انتاج مطاط مخلق يسمى مطاط الميثيل من مواد اولية بسيطة ناتجة من البترول ، فكان ذلك ابتدائا بمولد هذا المخلوق الصناعي في معامل الكيمياء بدلا من معامل النبات البطيئة النمو والانتاج ٠

وفي خلال الحرب العالمية الاولى انتج الالمان كميات كبيرة من المطاط المخلق الصناعي بلغت حوالى ٢٣٥٠ طنا ، ولكن بمجرد انتهاء الحرب وقفت هذه العملية لضعف مقاومة هـذا المطاط الصناعي في ذلك الوقت لان صناعته لم تكن قد نضجت بعد ، فلم يتحمل الاطار الخارجي للسـيارة المصنوع منـه اكثر من ٣٠٠٠ ميل ٠

وتذبذب انتاج المطاط المخلق تبعا لارتفاع ثمن المطاط الطبيعي او انخفاضه ولم تثبت على الاستمرار في البحوث سوى شركتين احداهما المانية والاخرى امريكية ٠

وعندما استولى اليابانيون على مصادر المطاط الطبيعي بجزر الملايو واندونيسيا في الحرب العالمية الثانية - اهتزت الاوساط الصناعية والعلمية وواصلت البحوث لعلها تستطيع ان تغطى احتياجات الجيوش الهائلة من مطاط مخلق يعوضها عما فقدته من ينابيع المطاط الطبيعي بالملايو واندونيسيا ، ونجحت البحوث في الانتاج على نطاق صناعي واسع من غاز الاستيلين المتصاعد اثناء تكسير الغازات البترولية الناتجة من التقطير ، وفي البلاد الفقيرة في البترول استطاعت انتاج الاستيلين من كربيد الكلسيوم وهو المركب الذى سوف تنتجه المصانع الكيميائية باسوان ٠

وقد تمكنت روسيا من تخليق المطاط من الغازات البترولية باسماء متعددة منها مطاط بونا ٨٥ ، بونا ١١٥ ٠

وفي الولايات المتحدة تحت اسم بريونان ، هيكار ، شيمي جم نيوبرين ٠

وفي اليابان تحت اسم موستون ٠

وقد بلغ انتاج امريكا في اثناء الحلب العالمية الثانية حوالى ٧٥٪ من جميع الانواع المطاطية الطبيعية والمخلقة المستعملة في امريكا ، وقد اصبح المطاط المخلق على قدم المساواة مع المطاط الطبيعي ، بل يخلط به في صنع اغلب المنتجات المطاطية لاكسابها خواص لا توجد في المطاط الطبيعي كمقاومته للمذيبات العضوية والاحتكاك ٠

استخدام المطاط في البويات

المطاط الطبيعي شديد المرونة ، ومقاوم للرطوبة ، وعلى ذلك امكنت الافادة من خواصـه هـذه في صناعة الدهانات المانعـة للرطوبة كالمستخدمة في سفن الصيد واليخوت وواجهات المنازل القائمة على شواطيء البحار ، وقد اجريت عدة محاولات لادخال المطاط في الدهانات ولكنها تعثرت نظرا لان عدد المذيبات له محدود ، وتختلف هـذه المذيبات عن مذيبـات الزيوت الجفافة والرانتجات ، فضلا عن ان محاليل المطاط عالية اللزوجة ، واذا اريد تجنبها لكي يسهل استخدامها بالمرقاش (الفرشة) لكلفنا ذلك كمية كبيرة من المجفف ، فبذلك تصبح قشرة الدهان رفيقة جدا عند جفافها وغير متماسكة ٠

واخيرا امكن التغلب على هذه العقبات باستخدام مركبات تقلل من اللزوجة ، وتجعل المطاط قابلا للذوبان في المذيبات المعتادة مثل التربنتين المعدني ، وتتلخص الطريقة في مزج المطاط مع نسبة بسيطة من ملح معدني مثل لينولات الكوبلت بنسبة ٢ر٠ ٪ من وزن المطاط ٠

وبذلك امكن الحصول على محلول يحتوى على ٥٠ ٪ مطاط ذائب في التربنتين المعدني ، وهذا المحلول مفيد عند استخدامه مع الزيوت الجفافة مثل زيت الكتان المحـول ، او زيت الطبخ (زيت الخشب الصيني) المحول بالحرارة بنسبة لاتزيد عن ٢٠ ٪ من وزن الزيت المستخدم ٠

وهذا الخليط يعطى سطحا مقبولا عند الجفاف ، وله تاثير جيد على درجة لبريق الورنيش الزيتي ودرجة انسيابه ٠

احمد سعيد الدمرداش

خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية

تأليف القائد العربى عبد الله التل

بقلم : محمد عبد الله السمان

فى مارس عام ١٩٥٩ م نشرت دار القلم بالقاهرة مذكرات المؤلف عن معركة فلسطين فى كتاب ضخم تحت عنوان : « كارثة فلسطين » استوعب فى دقة وتحليل الأحداث العسكرية والسياسية التى وقعت بعد قرار التقسيم فى أواخر عام ١٩٤٧ ، ولقد وجد الكتاب صدى بعيد الاثر فى الارجاء العربية والاسلامية على السواء ، لا لأن فلسطين العربية المسلمة لاتزال تحتل مكانا حساسا فى قلوب العرب والمسلمين وحسب ، بل لان المؤلف من القواد العرب الذين ابلوا بلاء حسنا فى المعركة اذ كان قائدا لمعركة القدس ، ومن المؤمنين ايمانا عميقا بالقضية الفلسطينية ، وهذا جعله لا يتوانى لحظة واحدة عن كشف الخيانات العربية التى طعنت القضية من الظهر ، وحمله بعد أن أدى واجب العقيدة على أن يهاجر الى القاهرة فى اكتوبر عام ١٩٤٩ .

ومن يوم أن هاجر الى القاهرة وهو وثيق الصلة بقضية فلسطين ، هذه القضية التى تمتزج بدمه قبل شعوره واحساسه وروحه نفسها ، وها هو ذا اليوم يقدم كتابه الجديد عن خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ، واذا كان كتابه الأول قد أرخ لمعركة فلسطين فى الجانبين السياسى والعسكرى ، فان كتابه الاخير قد أرخ لجذور المشكلة الفلسطينية ، وصار كلاهما جزءا متمما للآخر وان كان من الأجدر أن يكون الجزء الأول متمما للجزء الثانى الأخير .

أجل : كنا نود أن يسبق الكتاب الثانى شقيقه الاول ، لاليتفق مع الترتيب الزمنى للقضية فقط ، ولكن لان الكتاب الاخير سلط أضواء على اليهودية ، كشفت عن خسة وهمجية طبعت عليهما منذ أن وجدت على الارض ، ومن شأنهما أن تستفزا أهدأ الاعصاب وتصيبا العقل بالدوار ، والاذهان بالذهول .

***

لقد عكف المؤلف خلال ستة أعوام على دراسة المشكلة اليهودية وصلاتها التاريخية بفلسطين متتبعا احداث التاريخ منذ خروج اليهود من مصر الى ايامنا هذه ، وما رافق تلك الاحداث من وحشية وهمجية امتزجت بدمائهم ، وكان أن جاءت دراسته فى قسمين كبيرين ، استوعب القسم الاول فى ثلاثة عشر فصلا مرحلة تبدأ بالعدوان الاول على فلسطين منذ ثلاثين قرنا من الزمان وتنتهى بسيطرة اليهود على أغلب دول أمريكا واوربا وعلى عصبة الامم ومن بعدها هيئة الامم المتحدة ، وفى هذا القسم ، اوضح المؤلف الصلات الاولى بين اليهود والمسيحية ثم الاسلام ، وشرح حقيقة الدين اليهودى الذى يمارسه اليهود من توراتهم وتلمودهم ومقررات حكمائهم ، ثم ذكر الخطط اليهودية العالمية وأدواتها التنفيذية من ما سونية وصهيونية ، ولا سامية ، واللاسامية هذه فرية اخترعها اليهود سلاحا يحاربون به الانسانية فى جميع صورها ، حيث فسروا للعالم أن العداء لليهود هو عداء للجنس السامى ، ونجحوا بصفاقتهم المعهودة فى اخفاء « اليهودية » وراء هذه الكلمة التى أسموها « اللاسامية » .

***

أما القسم الثانى : فقد استوعب فى عشرة فصول مرحلة تبدأ من العدوان اليهودى الثانى منذ بداية

الاحتلال البريطاني في عام ١٩١٧م ، وتنتهي بالعدوان اليهودي السادس على المياه العربية في ايامنا هذه ، وفي هذه الفصول العشرة ، أوضح المؤلف مراحل تنفيذ الاعتداءات اليهودية ، وما لازمها من غدر بريطاني ، وهمجية يهودية ، واجرام امريكاني ، ساعد على قيام دولة العصابات « اسرائيل » ، وختم هذه المرحلة برأيه في الحل الصحيح للمشكلة موضحا سبيل النجاة مما تعانيه الامة العربية ، وتعانيه الانسانية من ويلات اليهودية العالمية وأخطارها .

***

والحق الذى لامجاملة فيه أن المؤلف أعطى دراسته عن اليهودية العالمية وخطرها على الاسلام والمسيحية كل ما امكنه من جهد ذهني ، يبدو ذلك واضحا في كثرة المراجع التي رجع اليها ، ومعظمها مما يتعذر علينا الحصول عليه ، وكان موفقا وهو يعرض الخلق اليهودي في خسته وهمجيته ، ليس فقط من واقع القرآن الذى ابرز هذا الخلق ، ولا من واقع التاريخ الاسلامي خلال احتكاك اليهود بالاسلام منذ فجره ، ولكن أيضا من واقع كتابات المؤرخين الاوربيين وغيرهم ، ممن عاصروا كثيرا من الوقائع التي لعبت فيها خسة اليهود دورا رئيسيا على مر العصور .

فبعد أن عرض المؤلف للتلمود وهو مجموعة تفسيرات الربيين والحاخامات للتوراة حسب اهوائهم ، هذه التفسيرات التي طمست اصول الشريعة اليهودية التي أنزلها الله على موسى ، واعتبرها اليهود أهم من التوراة ، فقد جاء في التلمود ص٥٤ «ان تعاليم الحاخامات لايمكن نقضها ولا تغييرها ولو بامر الله » ، وفيه اعتراف الله باخطائه في تصريحه بتخريب الهيكل ، حتى صار يبكي ويزأر قائلا : «تبا لى لأني صرحت بخراب بيتي ، واحراق الهيكل ، ونهب أولادى » وفيه : « ان الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة ، وخلق الله الاجنبي على هيئة انسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم » وفيه : « أن يسوع المسيح ارتد عن الدين اليهودي وعبد الاوثان وكل مسيحي لم يتهود فهو وثني عدو لله ولليهود » .

وبعد أن عرض المؤلف احدى عادات اليهود الدينية وهي المتعلقة باستنزاف دم غير اليهود من اجل مزجه بالعجين الذى يصنع منه فطير العيد الذي يأكله اليهود ، وقد ثبتت حقيقة هذه الوحشية وممارسة اليهود لها في جميع مراحل التاريخ ، حتى انها كانت من أهم العوامل التي أدت الى ذبح اليهود وطردهم من جميع بلاد اوربا وآسيا في أزمنة مختلفة ، كشف المؤلف الستار عن مؤامرة اليهود على الحياة العربية ، في مشاريعهم زمن الانتداب ، وبعد قيام دولتهم ، ثم في الآونة الاخيرة ، حيث تنبه العرب للخطر المحدق بهم ، فجمعوا صفوفهم ، ووحدوا كلمتهم ، وتناسوا خلافاتهم .

ويرى المؤلف أن الاحزاب والهيئات والحركات العربية العلمانية ـ كانت ـ ومازالت ـ تعالج المشكلة الفلسطينية من جانبها المادى فحسب ، ولذلك اتجه في دراسته هذه الى الجانب الديني المقدس للمشكلة ، لأن عناصر مشكلة فلسطين في كل مرحلة من مراحلها التاريخية ـ دينية مقدسة في المقام الاول ويرى ان اية معالجة لها لاتكون على اساس ديني جهادى ، مكتوب عليها الاخفاق لامحالة ، لان ايمانه بهذا مبنى على تجارب عسكرية عاشها وحقائق تاريخية لمسها ووعاها ، ولانه لم ينس بعد يوم وقف الرئيس في الازهر الشريف وأطلق صيحته : الله اكبر .. الله اكبر سنقاتل .. سنقاتل .. سنقاتل ويومها كان يخيل للعالم أن هزيمة مصر امام قوى العدوان الثلاثي متوقعة ، فجاءت صيحة الجهاد « الله اكبر » عاملا أساسيا في تحويل الشعب العربي المؤمن الى قوة تدفع عن دينها ووطنها عدوان المعتدين .. وكان النصر .

كان من أهم ما تناولته دراسة المؤلف الفصل الاخير منها ، حيث وضع حلولا لهذه المشكلة المستعصية ، وهي تتركز في أنه يجب أن نخوض المعركة على أساس الجهاد الديني ، وأن فلسطين ليست بلدا عربيا اغتصب فحسب ، وانما هي بلد اسلامي بالدرجة الاولى ، لانها تعد مهوى أفئدة سبعمائة مليون مسلم يقدسونها كما يقدسون مكة والمدينة ، كما أنها مهوى أفئدة ملايين المسيحيين المخلصين الذين لم تخرب اليهودية العالمية ضمائرهم ،

ويجب ثانيا : أن تجدد حكومات العرب الصلة مع الشعوب المسلمة وتبصرها بخطر اليهود والاستعمار، فسيظل الغرب المستعمر يهزأ بنا ما دمنا نعالج مشكلة فلسطين على أساس انها ارض عربية اغتصبها اليهود ، ويؤكد المؤلف خطر الحركات العلمانية المنتشرة في الوطن العربي وانها قد تخرجت في مدارس الغزو الثقافي الغربي ، ويجب ثالثا ان تظل الوحدة العربية مؤكدة كوسيلة لا بد منها لتحقيق النجاح في المعركة ، وأن تعنى عناية كبرى بالقوى المادية في الوطن العربي كالبترول ، وهو من الاسلحة الخطيرة الضرورية للمعركة .

ويشير المؤلف بعد ذلك ، الى ضرورة ربط الشباب العربي الذي ولد خارج فلسطين بقضية بلاده ،والى ضرورة اشراك جميع الشعوب المسلمة في معركة تحرير فلسطين ، لان هذا واجب يفرضه الاسلام ، والى ضرورة الالتفات الى أنه لأول مرة تواجه المدنيتان الاسلامية والمسيحية خطر اليهودية العالمية المدمر عليها ، والى ضرورة إبعاد فكرة مشكلة اللاجئين العرب كمشكلة انسانية ، لان علاجها عند الغرب المستعمر ليس الا المعونة الغذائية والكسائية ، والى ضرورة اعداد الجيل المؤمن الصادق الجدير بخوض المعركة المقدسة .

وبعد ـ ففي أكثر من أربعمائة صفحة قدم القائد العربي عبد الله التل دراسته المستفيضة عن خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ، وضمنها معلومات لاشك في أنها تستثير أعصاب القاريء وتذهل عقله ، ولا سيما في مجال وحشية اليهود على مر العصور وعبثهم بالدماء البشرية على أساس اعتقادي ، وقد يرى البعض ان الدراسة قامت على مجموعة من النقول عن الوثائق والمؤلفات ، ولكن حسب المؤلف أنه قضى ستة أعوام ينقب ويبحث ويستلهم أهم المراجع ، ليقدم اليهود في صورة مخجلة منفرة ، لن يكون خطرها على الاسلام أو المسيحية ، ولكن على البشرية والانسانية قاطبة !.

محمد عبد الله السمان

كتب جديدة

تقديم : تحسين عبد الحي

يرتبط التقدم الثقافي لكل امة من الأمم ـ كما وكيفا ـ بدرجة تقدمها الحضاري .. في صوره المختلفة .. والمتتبع لتاريخ الامة العربية يجد أن مرحلة ازدهارها الحضاري في العصر الوسيط كانت مدعمة تدعيما تاما وكاملا بفكر عربي اسلامي متطور واذا كنا اليوم نواجه مرحلة جديدة من مراحل تقدمنا الحضاري فانه يجب علينا ان نراعي بالضرورة تلك الفترة العصيبة التي حوصرت فيها الحضارة العربية سواء قبل الاستعمار التركي وخلاله أو في فترة الاستعمار الغربي . ويمكننا القول بأن حركة هادفة قد استطاعت طوال هذه الفترة ان تتناول بيد الهدم الكثير من معالم حضارتنا لكي تقدمها في النهاية لابناء جيلنا مشوهة ممسوخة ..

ويجدر بنا اذن ونحن نعيش الآن في غمار معركة القديم والجديد .. ان نقوم اولا باعادة تقديم كتب تراثنا وصياغتها من خلال الدراسة الجادة لها ـ بعيدا عن نفوذ حكومة البلاغيين التي ظلت تقدمها لنا طوال القرون الماضية بالشروح الهامشية والجمل المسجوعة .. الخ .. وقد كانت دائما تعنى بالشكل دون المضمون العلمي الرائع لهذا التراث .

لقد قدم رواد حضارتنا العربية الاسلامية العظام الكثير من الجهود المثمرة التي ساعدت على دعم التقدم الانساني العام وتقديره ومن خلال هذا المحتوى سنقدم هنا كتابين ..

الاول عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كاحد الرواد المبدعين في اساليب السياسة والحكم والثاني عن الخوارزمي العالم الرياضي الفلكي

عمر بن الخطاب
الوثيقة الخالدة .. للدين الخالد

تلتقي كل المذاهب الاشتراكية المعاصرة عند مفهوم واحد للاشتراكية ـ وهو العدالة الاجتماعية ـ وعلى الرغم من هذا التلاقي الا انهم

يختلفون فى الوسائل .. وشخصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونظام حكمه يعتبران فى حد ذاتهما ـ نوعا من العدالة الاجتماعية ـ التى اضفى عليها عمر من شخصيته القوية ما ساعدها على ان تسود .. أقول هذا بالطبع متجردا من رواسم القوالب الايديولوجية المعروفة لدينا الآن ..

وقد استطاع الاستاذ عبد الكريم الخطيب مؤلف كتاب عمر بن الخطاب ان يقدم لنا دراسة لا بأس بها عن حياة خليفة رسول الله ـ عن اسلامه وعن هجرته ومؤهلاته للخلافة وموقفه رضى الله عنه من خالد بن الوليد وعن زهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الدنيا .. يقول المؤلف :

روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فى المسجد زهاء خمسين رجلا من المهاجرين فذكروا عمر وما أخذ به نفسه من زهد وحرمان وقالو : ماترون الى زهد هذا الرجل ، والى حليته وقد فتح الله على يديه ديار كسرى قيصر ، وضم اليه طرق الشرق والغرب .. ثم ان وفود العرب والعجم يأتون فيرون عليه هذه الجبة قد رقعها اثنتى عشرة رقعة ،فلو سالتموه ـ معاشر اصحاب محمد ـ ان يغير هذه الجبة بثوب لين فيهاب منظره ويغدى عليه بجفنة من الطعام ويراح عليه باخرى يأكل منها ويأكل معه من حضره من المهاجرين والانصار ؟

وتهيب القوم ان يكلموه فى هذا وتخيروا لهذا الامر من ازواج النبى امهات المؤمنين : عائشة ، وحفصة بنت عمر ..

وعندما اخبرتاه بما يريدان قال عمر بعد نقاش طويل مفحم . « لا آكل عمر طيبا ، ولا لبس لينا ، اسوة بصاحبيه ، ولا جمع بين ادامين الا الماء والزيت، ولا آكل لحما الا فى كل شهر !! »

فخرجنا من عنده ، واخبرنا اصحاب رسول الله بما كان منه ومنهما » ويستمر الكتاب بعد ذلك فى شرح وتفسير عدالة عمر بن الخطاب وبعد نظره وحكمته فى كل قراراته التى اتخذها لصالح الاسلام والمسلمين وخاصة موقفه من خالد بن الوليد وعزله عن امارة الجند وتولية ابى عبيدة مكانه. والكتاب يعتبر سردا تاريخيا لشخصية عمر بن الخطاب

الخوارزمى

العالم الرياضى والفلكى

« يقول ارنست رينان » « ان العلوم والحضارة والآداب مدينة بازدهارها وانتشارها للعرب وحدهم طوال ستة قرون »

ويقول العلامة سيديو : « ان العرب فى الواقع هم اساتذة اوربا فى جميع فروع المعرفة »

وكتاب الخوارزمى العالم الرياضى والفلكى ـ الذى الفه المرحوم محمد عاطف البرقوقى والاستاذ ابو الفتوح محمد التونسى ـ يعتبر دراسة لعلم من أعلام العلوم الرياضية العرب ، أسهم فى بناء التراث العلمى البشرى بقدر كبير ، ولمع فى ناحيتين بارزتين من العلوم الرياضية وهما الجبر والفلك .

وقد حاول المؤلفان فى هذه الدراسة ان يرسما صورة واضحة موجزة لنشأة العلوم الرياضية منذ احس الانسان حاجته اليها ومنذ كانت معارفه وحاجاته اولية يسيرة ثم تتبعا هذه العلوم عند مختلف الامم القديمة حتى وصلاالى العرب ، وتتبع المؤلفان تطور هذه العلوم عندهم من العصر الجاهلى الى عصرهم الذهبى فى ايام المأمون العباسى حيث نبغ محمد بن موسى وذاع صيته فى الآفاق .

ويقدم المؤلفان بعد ذلك دراسة ممتعة لافكار الخوارزمى وكتبه .. وخاصة كتابه المشهور «الجبر والمقابلة »

ومن ابواب كتاب الجبر والمقابلة باب الضرب ، والمراد منه بيان كيفية ضرب الاشياء او الجذور بعضها فى بعض .

ثم باب الجمع والنقصان ، ويتناول هذا الباب شرح بعض القوانين الخاصة بجمع المقادير الجبرية وطرحها وضربها وقسمتها .

ثم يعرض بعد ذلك مسائل مما يجرى فى حياة الناس من بيع وايجارات ، ومايتعاملون به من صرف وكيل ووزن ..

ثم يذكر بعدذلك ما يتعلق بالمساحات ، فيتحدث عن وحدة المساحة ومساحات بعض السطوح المستقيمة والاجسام ، ومساحة الدائرة والقطعة

ـ وفى هذا دليل قاطع على انه كان عالما بنظريات التشابه فى الهندسة ومنها : »

« اذا تقاطع وتران داخل دائرة فالمستطيل المكون من جزاى الوتر الاول يكافىء المستطيل المكون من جزاى الوتر الآخر »

وواضح انه استخدم هذه النظرية فى الوصول الى قطر الدائرة ... الخ ..

ان كتاب الجبر والمقابلة الذى كتبه الخوارزمى كان المرجع الاول الذى اعتمد عليه النابهون من علماء الرياضة فى اوربة فى العصور الوسطى ، ولذلك يقول كاجورى : ان العقل ليدهش حين يرى ما عمله العرب فى علم الجبر .

ولذلك اهتم الاوربيون بنقله الى لغاتهم ، فقد نشر مختصر منه (ف . روزن) بلندن سنة ١٨٣١م ودرسه بالفرنسية (ا ـ مار) بعنوان قسم الهندسة من كتاب الجبر لأبى عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى ونشر (ج.روسكا) دراسة له بالالمانية بعنوان (اقدم جبر عربى وفن الحساب) بمجلة المجمع العلمى بمدينة (هيدلبرج)بالمانيا سنة ١٩١٧م وترجمه الى اللاتينية (روبرت اوف شستر) حول سنة ١١٤٠م ، وتعد هذه الترجمة اساسا لجميع الدراسات التى قام بها كبار العلماء، كما شرحه عدد كبير من علماء الرياضة العرب .

وقد ترك الخوارزمى مؤلفات قيمة فى الفلك والجغرافيا : منها كتاب (زيج الخوارزمى) ، وكتاب تقويم البلدان ، وكتاب فى الهندسة والفلك والحساب والموسيقى ، ويقول الدكتور (سارطون) فى كتابه الاخير انه يشتمل على خلاصة دراساته لا على ابتكاراته .

هذه بعض آثار الخوارزمى فى علم الفلك ، وهى ناطقة بانه كان ذا عقلية رياضية جبارة ، وانه كان عالما مفكرا فى مقدمة العباقرة فى علوم الرياضة والفلك ، ابتكر الجبر وعلمه ، كما علم الحساب للناس اجمعين .

« تحسين عبد الحى »

نحن العرب

للشاعر : على الجندى

الى محمد عز الدين المناصرى الاردنى
تحية لتحيته الشعرية

انا لأوسط امة
عزت وسادت فى البشر
واضاءت الدنيا بها
كالليل ضواه القمر
طابت معادنها فطا
ب الخبر منها والخبر
وبنت ممالك سامقا
ت كالدرارى الزهر
كانت بجيد زمانها
كالعقد فصل بالدرر
زالت !! وما زالت ترو
حنا بانفاس الزهر
دثرت !! ورسم المجد بيـ
ن طلولها لم يندثر
والشمس تحجب عينها
والضوء منها منتشر
فى ظلها الفينان فا
ض الخير ، والعدل ازدهر
والعقل الهم رشده
فصفا ، وزايله الكدر
والعلم اخرج شطاه
وزها بروضته الثمر
وتحرر الانسان من
رق حتى منه القصر

قراءات فى المجلات العربية



يقدمه : محمد العوانى

● **مجلة الفنون الشعبية :**

مما لا شك فيه ان اهتمام الدولة بالثقافة جعلها تفكر فى الوسائل التى تعمل على نشرها ، لهذا أنشأت هذه المجلات المتعددة لكى تتيح الفرصة أمام جمهور المثقفين عندنا .

وقد حظيت الفنون الشعبية باهتمام الدولة ورعايتها باعتبارها التراث الأصيل الذى تكمن فيه شخصيتنا وتبدو عليه ملامحنا ، وحملت هذه الفنون الشعبية عندنا مجلة صدرت منذ اسبوعين واستطاعت ان تخرج الى النور على هذا المستوى الطيب من دسامة المادة وروعة الاخراج .

وقدم الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد هذا العدد الجديد مبينا ان صدور هذه المجلة كان «استجابة طبيعية لاحساس مجتمعنا العربى الاشتراكى بذاته واستكمال ملامحه ، بعد ان اتم مرحلة التحول ، وبدأ مرحلة الانطلاق العظيم » . كما ان صدورها ايضا كان «استجابة منطقية لاحترام الشعب لذاته وتقديره لفنونه » .

ويوضح الدكتور حاتم أن رسالة هذه المجلة «هى أن تكون مرآة صافية وصادقة تعكس نبض المجتمع العربى الاشتراكى ، كما يبدو فى مأثوراته وآدابه ورسومه وتماثيله وعروضه التى تتوسل بالحركة والايقاع والتمثيل» كما انها مطالبة «بتصحيح مفهوم الفنون الشعبية ، والكشف عن المجهول فيها ، ودراسة روائعها ، وتقديم اعلامها ، وتخليصها من رواسب السلبية والتردد والتواكل ، واظهار ما فى هذه الفنون الشعبية من القيم الانسانية العليا كالحق والخير والجمال وابراز ما تمتاز به من الاصالة التى تجعلها انسانية قومية وطنية ، بلا تناقض ولا صراع » .

وتلت كلمة الدكتور حاتم كلمة رئيس تحرير مجلة الفنون الشعبية الدكتور عبد الحميد يونس فبين ان تراثنا الشعبى ومأثوراته فيه من المرونة ما جعله - ولا يزال يجعله - قابلا للتطور والنمو مع تطور الحضارة ونموها ، كما انه فى الوقت نفسه يرد على أولئك الذين انتقصوا من قدرة العقل العربى والارادة العربية ، « تبريرا لاستعلاء عنصرى » .

ولذلك يرى الدكتور ان العمل على احياء التراث الشعبى العربى «تبعة قومية وانسانية وعلمية فى وقت واحد» ، ومن اجل ذلك فان مجلة الفنون الشعبية ستتحمل هذه المسئولية الضخمة ، ولن تضن بعرض الدعوة المخلصة والمادة الاصيلة والاقتراح المفيد ،

ويشير الدكتور الى أن انصع دليل يمكن ان يقدم على عظم هذه المسئولية القومية والعلمية هو ذلك «الاعتراف الذى سجله المستشرق الانجليزى (جب) فى كتاب «تراث الاسلام» فقد ذكر صراحة ان اوروبا تأثرت اواخر القرون الوسطى واوائل عصر النهضة بالمأثورات الشعبية العربية ، وهى التى اعطتها

السمات القومية فى الادب ، وغيرت من قوالب الشعر المنظوم . ومتحتها القافية . والكثير من المضامين ، وعلى الرغم مما قيل عن عجز القريحة العربية فى مجال القصة ، فان هذا المستشرق يصرح بان القصص الإيطالى من عصر النهضة انما ظهر حكاية للقصص الشعبى العربى ، وان «شوسر» أبا الادب الانجليزى قد تاثر بطريق مباشر وغير مباشر النهج العربى فى السرد والوصف والتصوير . وبعد ان يضيف الدكتور ان هذا المستشرق قد عدد الاثار الادبية الكثيرة التى بها قلد الاوروبيون الاشكال والمضامين الشعبية العربية يقول ان عده ، مجالات حرية بأن نعود الى دراستها من جديد ، لا لنؤكد مزية من مزايا العرب، وانما لنجلو الحقيقة . ولنتبين مرحلة من مراحل التطور فى ماثوراتنا الشعبية الحية . ولنتعرف على القسمات الاصيلة فى تراثنا الشعبى الذى صاغه مزاجنا وفكرنا ووجداننا على مدى العصور » .

وينتقل الدكتور ليتحدث عن اساس نهضتنا الفنية مبينا أن هذا الاساس انما يرتكز على ماثوراتنا الشعبية وانه اذا كانت قد تعثرت جهودنا فى الماضى فان الذى لاشك فيه «ان عنايتنا اليوم بالفنون الشعبية قد حفزت ، ولاتزال تحفز الفنانين الى استلهام المأثورات الشعبية العربية الأصيلة .. فى الموسيقى والغناء والتمثيل وتصوير اللوحات الحية والرسم والنحت» .

وبهذا نتحلل من أسر التيارات الاجنبية الوافدة التى رانت على عقولنا الى الارتكاز على أنفسنا ، وما فى سلوكنا ، ومايكمن فى نفوسنا وعقولنا وماحتفظت به ثقافتنا الشعبية من خبرة ومهارة . ويبين الدكتور أن زوال الشعور بالنقص امام الفنون الغربية «سيضاعف من قدرتنا على الابداع الاصيل ، وسيجعلنا ننفذ الى جوهر النفس الانسانية مع الاحتفاظ بمقوماتنا وخصائصنا العربية ونحن نلاحظ بوادر هذا الاتجاه العظيم الذى نحطم به الحصار الثقافى الذى فرض علينا ، ولن يمضى طويل وقت حتى يشهد جيلنا بفضل العناية بالمأثورات الشعبية وتطويرها والافادة منها ، أدباء عالميين فى الدراما والرواية والقصة القصيرة والشعر وفنانين عالميين فى الموسيقى والتمثيل والرقص التوقيعى والتصوير والنحت » .

على أنه لايسعنا الا أن نقدم التهنئة للدكتور عبد الحميد يونس على هذا المجهود الضخم الذى بذله فى سبيل الاعداد لهذه المجلة .. تحية اليه .. والى الزميلة الجديدة مجلة «الفنون الشعبية» .

● «الآداب» وعامها الثالث عشر

طالعتنا ، مجلة الآداب ، اللبنانية بحديث لرئيس التحرير الدكتور سهيل ادريس – شرح فيه وضع مجلته من الناحيتين المعنوية والمادية ، فمن الناحية المعنوية يعترف الدكتور سهيل بأن مستوى ما ينشر فى المجلة من النتاج الادبى الآن يختلف عما كان عليه من قبل ، تبعا للتطور الهائل الذى طرا على المجتمع العربى فى المفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، اذ أن المجتمع العربى اليوم «يسير سيرا واضحا فى طريق الاشتراكية تلك التى لم يكن يعيها من قبل او كان يتنكبها عن وعى» .

ويستطرد الدكتور سهيل ليرد بصراحته المعهودة عن التهمة التى توجه الى مجلتك تلك هى ندرة الاقلام اللبنانية فيها على الرغم من انها مجلة لبنانية ، ويقول الدكتور ان المجلة «لاتفهم اللبنانية انعزالا وانغلاقا عن المجموعة العربية . بل تفهمها انفتاحا ومشاركة، لأن المصير اللبنانى مرتبط أوثق الارتباط بالمصير العربى كله ، وهذه المجلة حريصة على أن تتعاون مع جميع العناصر التى تؤمن بالقومية العربية وبالمصير المشترك ، الى اى بلد انتموا . ونعتقد ان من الطبيعى ان تمتنع العناصر الانعزالية عن الكتابة فى «الآداب» والا تكون «الآداب» بدورها حريصة على أن تفسح لها صدرها » .

وينتقل الدكتور متحدثا عن الوضع المادى للآداب فيذكر أنها «ليست مدعومة دعما ماديا من أية سلطة او جهة او مؤسسة او فرد» وانها تعتمد على قرائها فى أجزاء الوطن العربى، هؤلاء القراء هم الذين ضمنوا لها «الحفاظ على استقلالها وجعلها تقاوم جميع المغريات وما أكثرها ، لا سيما المغريات الأجنبية » .

والمعروف ان الدكتور سهيل ادريس كان ممن تبنوا الكشف عن الاتجاهات المشبوهة والصلات المريبة لبعض المجلات التى تصدر فى لبنان ونوه بما لها من تعاون مع الاستعمار والصهيونية اللذين حرصا كل الحرص على ان يقدما لهذه المجلات المعونات المالية كما صرح الدكتور سهيل بهذا أيضا فى حديث ادلى به الى جريدة «الجمهورية» اثناء زيارته الأخيرة للقاهرة .

محمد العوانى



ايامى عن قريب

للشاعرة فلورى عبد الملك

هناك على الطريق   صدى صوت رقيق
ينادى فى خشوع
تمهل فى خطاك   فقد اضحى هواك
لظى بين الضلوع
وانت .. الا تبالى   بساهرة الليالى
ستذوى كالشموع
حنين فى دماها   وشوق فى حشاها
وفيض من دموع
مقرحة الجفون   مثقلة الشجون
وتهفو للهجوع
وتصحو فى الصباح   مضعضعة الجناح
تفر من الجموع
تهيم على الروابى   وتشكو فى عذاب
هوى القلب الوجيع
تحن الى الرفيق   فتهرع للطريق
تسائل فى ولوع
ايامى عن قريب   وتهتف بالحبيب
متى .. ؟ هل من رجوع

اللجنة المفترى عليها

بقلم عبد الرحمن احمد سالم

تلك هى لجنة الشعر . فقد اثارت مذكرتها المرفوعة الى الدكتور حاتم ضجيجا لم تهدأ آثاره بعد ، وكثرت الاقلام المشهورة فى وجه هذه اللجنة ، حتى لكانى باصحاب هذه الاقلام يعانون من اللجنة غيظا مكتوما سنحت الفرصة لاطلاقه فاطلقوه فى ثورة عجيبة تبعث على الدهشة ، وتثير الغرابة .

لماذا هذا ؟ هل هناك فى مذكرة اللجنة ما يبرر كل هذه الثورة المحمومة ؟

ان ما اثار هؤلاء الثائرين المحتجين بصفة خاصة هو فقرة وردت فى المذكرة تطالب بحق الاشراف على كل ما يتسم بميسم الدولة من وسائل نشر الشعر ، والحق ان هذه العبارة فهمت على غير وجهها ، واولت تاويلا يتفق ومقصود الحانقين ، ولا يتفق ومقصود اللجنة ، لم تقصد اللجنة بالاشراف ان تحجر على التجارب الجديدة وتميتها ، كلا ، ولا يمكن ان تقصد ذلك ، فهذه التجارب مواليد صغيرة من حقنا ان نهيىء لها سبل الحياة الطبيعية ونتركها بعد ذلك تجابه هذه الحياة ، فان ملكت مقوماتها عاشت رغم محاولة القضاء عليها ، وان فقدت مقوماتها ماتت رغم كل محاولة لانعاشها بالتنفس الصناعى !

كل ما قصدت اليه اللجنة الا يفتح الباب هكذا على مصراعيه امام الشعراء الجدد ، ففيهم الشاعر ، وفيهم المتشاعر ، وفيهم من لاشاعرية عنده على الاطلاق ، بل يجب ان نختار من تجارب هؤلاء الشعراء ما تثبت اصالته وصدقه وشاعريته ، حتى لايدخل من الباب الا من يملك تذكرة الدخول ، ويطرد الباقون حتى يثبتوا ملكيتهم لهذه التذكرة ، ولا شك ان فى هذا التصرف خيرا وبركة على الشعر ، فكثير من الناس الآن زهدوا فى الشعر وانصرفوا عنه ، لما يرون فى معظمه من اسفاف وسطحية .. فانطبعت فى اذهانهم صورة مشوهة عن الشعر عموما بما فيه الجيد ، وقد يؤخذ البرىء بذنب المجرم .

وراث اللجنة ايضا الا يضيق الخنـــاق على الشعر العربى الأصيل - ولا الزول التقليدى - فى مجلات وصحف ليست حكرا لبعض الافراد وبعض التجارب ، ولكنها من حق كل الافراد وكل التجارب ، ولا اظن ان فى هذا المطلب ما يثير الانتقاد .

لقد صوبت الى لجنة الشعر سهام كثيرة ، واصبحنا لا نكاد نقرأ صحيفة الا ونجد فيها من الحملات المسرفة شيئا كثيرا وقد دعا البعض الى وجوب عقد اجتماع سريع ، وغــير عادى لاعضاء جمعية الادباء لمناقشة هذه القضية (الخطيرة) وعقد هذا الاجتماع فعلا . كما قام البعض بتصوير السادة اعضاء لجنة الشعر بصور مزرية ، وكلهم اعلام افاضل ، خدموا بلدهم بعصارة افكارهم ، وما زالوا يخدمون ، فكان جزاؤهم منـــا هذا الهزء المرير ، والسخرية اللاذعة .

كفى يا قوم تقريعا للجنة المظلومة ، فلم ترد لكم وللادب الا الخير .. كل الخير .

العقاد والنديم
فى كتاب الدكتور شوقى ضيف
محمد ماجد محمد عبد الفتاح

ذكر الدكتور شوقى ضيف فى كتابه «مع العقاد» صحيفة ٢١ من طبعة دار المعارف « ويلتحق بمدرسة الفنون والصنائع ، ثم يتركها ويوظف فى مصلحة البرق «التلغراف» ويأخذ فى تعلم دروسه فى ضاحية الدمرداش بالقاهرة ويمضى فى ذلك ستة اشهر يتجه بعدها الى الصحافة التى اعده لها القدر من قديم ، وربما كان توظفه بمصلحة البرق اقتداء منه بعبد الله نديم الذى توظف بها حينا ، وايضا ربما كان اشتغاله بالتعليم فى المدرسة الاسلامية الذى تحدثنا عنه آنفا ضربا من هذا الاقتداء ، فقد اشتغل عبد الله نديم ايضا بالتعليم فى المدارس الخيرية وهو اخيرا فى سنة ١٩٠٧ التى توفى فيها ابوه يخلص مثل النديم للخدمة الوطنية» .

هذا .. على الرغم من ان سلسلة المقالات التى كتبها العقاد فى اواخر ١٩٥٧ والتى تنشرها الآن دار الهلال - هى المرجع الوحيد الذى استقى منه الاستاذ الدكتور معلوماته عن حياة العقاد

الأول الا انها تخالف كلام الدكتور .. وها هى ، بل ان هناك مشابهات عديدة بين النديم وبينى لاادرى هل جاءت من وحى القدرة الخفية او جاءت مصادفة بغير قصد منى ولا من احد .

فقد تعلمت صناعة التلغراف كما تعلمها النديم واشتغلت بالتعليم فى مدرسة خيرية كما اشتغل النديم وجربت الاستخفاء على الطريقة البوليسية اكثر من مرة فى ابان الحرب العالمية الاول وكذلك فعل النديم عند مطاردته فى اعقـــاب الثـــورة العرابية .

ولكننى - مع هذه المشابهات - لم اشعر من قبل ولا اشعر الآن بان الرجل قدوتى المختارة بين امثلة النبوغ التى اتمناها او بين الشخصيات المثالية التى اجلها واحب ان انتمى اليها . ويسهل الرجوع الى كلام العقاد فى كتابه « حياة قلم » صحيفة ٤٠ ، ٤١ .

اقتراح
ماهر محمود البقرى

يحسن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بتشجيعه الادباء والدارسين بطبع كتابهم الأول على نفقته مع تقديمه للسادة القراء بقلم احد اعضـــاء المجلس الأدباء ، غير ان لى اقتراحا وددت لو يعمل به المجلس ليتم فضله ، ذلك هو توزيع الكتاب الاول عن طريق المجلس نفسه لسببين ليس غير :

١ - ان عدد المطبوع من الكتاب الفا نسخة فقط للاديب او الدارس نصفها وكثير من دور التوزيع تعزف عن توزيع هذا العدد لقلته .

٢ - ليس يليق بالدارسين ان يشغلوا بالنواحى المـــادية بتحديد سعر الكتاب ، وكم وزع منه وصافى ارباحهم الخ ؟

وفضلا عن ذلك فان المجلس يتولى توزيع سائر مطبوعاته بنفسه توزيعا غير تجارى ، كما يصـــنع فى الف نسخة من الكتاب الاول .



رحلة

قصة بقلم : ثروت أباظة

كان مكانها فى الطائرة بجانبه ولم تعره التفاتا · فقد كانت المرة الاولى التى تركب فيها طائرة وكان كل ما يسعى اليه ذهنها ان تقرأ ماتحفظه من القرآن: قليلا ما كانت تلجأ الى القرآن وهكذا كان محصولها فيه يقل كلما لجأت اليه · فهى تجهد ذهنها بحثا عن السور القصار · ويخونها ذهنها الخائف المذعـور فلا تذكر الا « قل هو الله احد»وتكمل السورة وتبحث عن غيرها فلا يقودها ذهنها الا الى « قل هو الله احد» فتعيدها وتعيدها ولا تقول غيرها وهو بجانبها ينظر اليها وطيف ابتسامة يطيف بفمه · وتظل هى تقرأ قل هو الله احد حتى تجد نفسها آخر الامر قد اطمأنت الى تحليق الطائرة فى الهواء وتفيق الى نفسها من ذعرها وتنظر حواليها وتراه وترى الابتسامة وتوشك ان تلاقيها بابتسامة · وتتفرس فيه · فتى اسمر الوجه سمرة غير مصرية حلو الملامـح ذكى العينين حليق الشعر اسوده · فى وجهه سماحة وطيبـة وحب ··· حب للحياة ولكل شىء فى الحياة · وينتهز فرصة نظرها اليه فيقول فى انجليزية نقية :

ـ أخائفة انت الى هذا الحد !

وتدهش انه عرف بخوفها على رغم جهله بالعربية فتقول

ـ كيف عرفت انى خائفة ؟

ـ لكل دين تعاويذه ·

ـ نعم انى خائفة···الحقيقة اننى كنت خائفة··· ولكننى الآن اشعر بالطمانينة ·

ـ اترى كان لما تتمتمين به اثر فى هذه الطمانينة·

ـ لا ادرى ··· ولكنى الآن غير خائفة ·

ـ انت مصرية ؟

ـ نعم ·

ـ ما هذا الذى كنت تقولينه ·

ـ كلام من كتابنا

ـ مسلمة انت ؟

ـ نعم

ـ اهذا هو القرآن

ـ كلمات قليلة منه

ـ انا ايضا اقول كلاما حين اكون خائفا

ـ من الانجيل ؟

ـ لست مسيحيا

ـ اذن

ـ انا بوذى

ـ من الهند انت

ـ نعم

ـ وهل كنت خائفا

ـ فى هذه المرة لا ··· انها ليست المرة الاولى التى اركب فيها الطائرة ·

ـ هل خفت فى المرة الاولى ؟

ـ المشاعر الانسانية واحدة فى جميع انحـاء العالم ومهما تختلف الاديان

ـ انت مسافر الى لندن

ـ نعم وانت

ـ الى لندن ايضا

ـ للدراسة

ـ نعم وانت

ـ للدراسة ··· كنت فى اجازة وها انذا عائدة منها

ـ الا تشعر بالغربة فى لندن

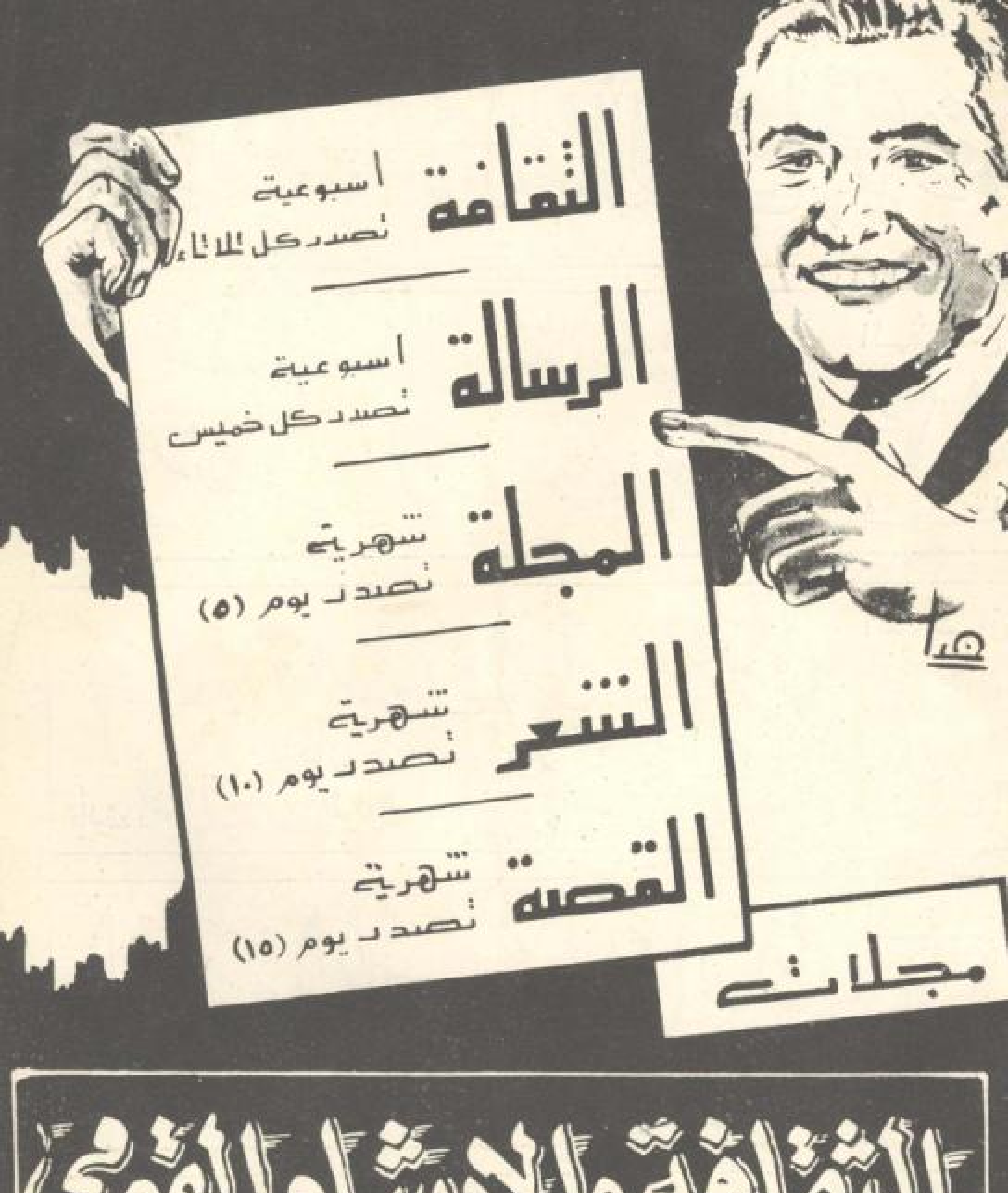
ـ اننى اشعر بالغربة بمجرد بعدى عن بيتى

ـ اخاف من الغربة

ـ هى المرة الاولى التى تفارقين فيها اهلك ؟

ـ لم ابت ليلة خارج منزلى ·· بل لم ابت ليلة بعيدة عن اختى

ـ اظنها غير سعيدة بسفرك ٠
ـ مسكينة كانت تحاول ان تخفى الدموع حتى لا اراها ٠
ـ الم تحاول اسرتك ان تمنعك من السفر
ـ حاولت امى ولكن ابى متحرر التفكير ورأى اننى متقدمة فى دراستى فلم يشـــا ان يحرمنى هـذه الفرصة ٠
وجرى الحديث ٠٠٠ حدثته عن ابيها وامها واختها واخيها٠وحدثها عن اخوته الثلاثة من الذكور والاربع من النساء فعرفت اســماءهم واسمائهن وعرفت المتزوجة منهن ومن لا تزال تنتظر الزوج وعرفت ماذا يفعل اخوته من الذكور عرفت اعمالهم جميعـا ٠٠٠ ساعة واحدة كان كل منهما يعرف كل شىء عن الآخر وجرى الحديث ونسيت الطائرة ونـسيت الخوف ونسيت اباها واختها واخاها نسـيتهن بالحديث عنهم ٠٠٠ نسيت لهفتهم فى يوم سفرها ونـسيت الجزع فى عينى امها والضـياع فى عينى اختهـا والشعور بالمغامرة فى عينى ابيها والشوق الى المجهول فى عينى اخيها ٠٠٠ نسيت المشاعر التى ودعوها بهاق غمار الحديث وعن حياتهم اليومية وفجاة اهتزت الطائرة هزة عنيفة وحوم الصمت على المسافرين وعاد اليها الخوف ولم تشعر بنفسها وهى تمسك بيده فى ذهول ولم تشعر ايضا بيده وهو يطبقها على يدهـا المرتجفة ٠ وبعد لحظات انباهم صوت قائد الطائرة انهم فى خطر وانه يحاول ان يتغلب على هذا الخطر
ونظرت الى جارها الذى اصبح صديقها وتكلمت عيناها وتكلمت عيناه وساد الصمت دقائق طويلة٠٠ طويلة ٠٠ ثم ارتفع صوت قائد الطائرة ٠
ـ اقتربنا من لندن ٠٠٠ الله معنا ٠
وعادت الى « **قل هو الله احد** » تقولها بقلبهاونظرت الى جارها ووجدته يقول كلاما لا تفهم منه شيئا ٠
وحين لامست الطائرة أرض المطار وجدت نفسـها فى حضن هريش وهى مازال تردد « قل هو اللهاحد» وحين انفصلت عنه انفجرت باكية ضاحكة متمتمة بكلمات السورة الوحيدة التى اصـبحت لا تحفظ غيرها ٠
واستمرت الصلة بينها وبين **هريش** حتى اصبحت تقضى كل اوقات فراغها معه ٠ وأحست فى صـحبته امنا ، واستطاعت برفقته ان تتغلب على الغربة اغلب ساعات النهار ٠ ولكن الوحدة كانت تفغر لها فاها كلما تلقفتها الحجرة التى استأجرها لها عند اسـرة صديقة ٠
وفى يوم سألها هريش ونظرة الحب تشـع من عينيه
ـ سلوى ٠٠٠ اريد ان اتزوجك
ـ كيف
ـ هكذا
ـ ولكن ديننا يحرم الزواج بك
ـ اعلم
وصمتت بعض الحين ولكنها ما لبثت ان وافقت على الزواج ٠ وتم الـــزواج غير علم من احـد الا الموظفين المختصين ٠
ومرت الايام وسلوى تكتب لاهلها لا تجسـر ان تخبرهم بما تم فى امرها حتى كان يوم شـعرت **سلوى** بالم فى جنبها ٠ لم تحفل به اول الامر ولكن الالم ازداد ولم تستطع ان تكتم امره عن **هريش** ٠ وطالعهما الطبيب بالحقيقة القاتلة ٠٠٠ المرض قاتل لا سبيل الى التغلب عليه ٠
ونظرت سلوى الى هريش وانعمت النظر ولم تجد شيئا تقوله الا
ـ انا آسفة ٠٠٠ لم استطع ان احقق لك السعادة التى كنت اتمنى ان احققها لك
ولم يستطع هريش ان يحمل العبء وحـده ٠ وفوجئت اسرة سلوى بخطاب موقع من هريش ان ابنتهم مريضة ٠ وظن الأب أن التوقيع لأحد زملائها ولم يفكر الا فى مرض ابنته فسرعان ما ذهب اليها فى لندن ٠ ووجدها على فراش الموت ووجد معهـا هريش ٠ وما هى الا لحظات حتى تبين ما فعلته ابنته٠ واوشك ان يتركها ليعود الى القاهرة ولكن **سلوى** نادته فى صوت واهن ضعيف ٠
ـ ابى
ووجد نفسه يقول دون ريث وتفكير
ـ لم اعد اباك
ـ انى هنا وحيدة
ـ انا لا اراك وحيدة
ـ لى رجاء لا يستطيع ان يحققه لى هريش
ـ لا تنطق إسمه
ـ فهو رجاء لن يحققه لى الا انت
ـ لا اريد ان اسمع
ـ اريد ان ادفن كمسلمة
وانهار الأب الحزين باكيا ٠٠٠ انهـا ما زالـت مسلمة ٠٠٠
هل اشركت بالله يا سلوى ٠٠٠ هـل اشركت بالله
ـ اريد ان ادفن كما يدفن المسلمون
ـ ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ٠



العدد ٧٧
الثمن ٣ قروش
الدار القومية للطباعة والنشر